الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

كلية اللغات والأدب العربي
قسم: اللغة والأدب العربي

المناظرة النحوية بين النحاة البصريين والكوفيين من خلال كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف " لابن الأنباري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:
* شريفة أكساس
* جميلة مالك

* إشراف الأستاذة:
* زاهية سالم

السنة الجامعية

2013/2012

كلمة شكر

نحمد الله حمد الشاكرين، ونثني عليه ثناء الذاكرين، وفّقنا وسدد خطانا لإتمام هذا العمل المتواضع.

وعملا بقول الرسول الكريم- **صلى الله عليه وآله وسلم** - " من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى إليكم بمعروف فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له".

ولأنّ الإعتراف بالجميل من مكارم الأخلاق، أتقدّم إلى كلّ من قدّموا لنا يد العون كلمة شكر وامتنان، مع أنّها لن توفّيهم حقهم، ولن تكون بمستوى صبرهم ونخص بالذكر الأستاذة "سالم زاهية" على إشرافها على هذا البحث وعلى إعانتها لنا، وصبرها وتفهمها، فلها كامل التقدير، وتمنياتنا لها بمزيد من العطاء وأطال الله في عمرها ومنحها الشفاء من كل داء.

تلك أسمى عبارات الحب و الاحترام والتقدير.

إلى كل الأساتذة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الجامعي دون استثناء والذين حفروا أسماءهم من ذهب في مسيرتنا الدراسية وأناروا درب العلم.

.....إلى كل هؤلاء تقبلوا منّا جزيل الشكر والامتنان.

إهداء

إلى نبع الحنان، وجنّة غار منها الجنان، إلى مصدر الحب الذي لا يتعب.
إلى من غمرتني بالحب والعطف، فكانت أوّل من أبصرت عيناي، وتلفّظت بها شفتاي.
إلى التي سهرت وقامت وفرحت وبكت من أجلي.
إلى من ترتاح لها نفسي بعد العناء
غاليتي أمي الحبيبة حفظك الله لي وأطال في عمرك.
إلى أغلى من في الوجود، إليك أنت وحدك، دون سواك يا من تعبت لأرتاح، لك أيها السند المتين بعد الله، لك أيّها الستار الواقي، أيّها النبع العذب الصافي، إلى من اجتهدت لأجله وأسعى جاهدة لإسعاده، لك يا من اسمك يرعش قلبي، لك أيّها الأب الأعظم.
لك يا " أبي" العزيز حفظك الله لي وأطال في عمرك .
إلى من كانوا مصابيح تنير دربي، فرفعت رأسي فكانوا مصدر ثقتي، وإلى من أعطوني معاني الكلمات وأعظم وأروع من أخذت عنهم أجمل ساعات إخوتي وأخواتي: علي وزوجته آمال، نبيلة وزوجها وبناتها، فاطمة وزوجها، يوسف، توفيق، نجاة وإلى قرّة عيني"عبد الحق" ، وإلى البراعم الصغار: دينا، آدم وأحمد أمين.
إلى مرشدتي إلى طريق الصلاح والفلاح بأرق كلمات الحب والمودة لك وحدك وليس لغيرك ابنة خالي"حورية".
إلى أعزّ وخير رفقاء لي في السرّاء والضرّاء صديقاتي: جميلة، حياة، رتيبة، ججيقة.
إلى كل الذين حملتهم ذاكرتي، ولم تحملهم مذكرتي،أهدي إليكم جميعا ثمرة جهدي وخالص أعمالي.

*شريفة *.

إهداء

إلى روح زوجي الطاهرة

وإلى فلذات كبدي:

ثينة- دهية وسيفاكس

وإلى كلّ من تعرفت عليه طوال مشواري الجامعي.

* جميلة *

مقدمة :

مقدمة:

لقد كان القرآن الكريم الدافع الأساسي لنشأة الكثير من العلوم التي ازدهرت وأينعت في ظل أحضانه، فكثرت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بالأعاجم فظهر اللّحن فيه لفظا ومعنا، إذ سارع النحويون إلى ضبطه أي نقطه وإعرابه، هذا ما جعل اللغويون يختلفون إلى من تعود الصدارة في رسم النحو العربي، هل إلى أبي الأسود الدؤلي أم إلى عبد الرحمان بن هرمز، أم أللّيثي، أم إلى الخليفة علي - كرّم الله وجهه- غير أنّ الأكثرين يرجحون أبي الأسود الدؤلي. إذا في ظل القرآن خطا النحو خطوات واسعة إذ لم تعد غايته محصورة في صون القرآن من اللحن بل في وضع قواعد وقوانين تنظم اللغة العربية.

وفي زخم حديثنا هذا وجدنا أنفسنا أمام إحدى الحواضر العربية شهرة في العراق هما" البصرة والكوفة"، إذ بلغ الخلاف بينهما أشّده في القرن الثالث للهجرة، لكن في نهايته بدأ يضمحلّ ليظهر مذهب جديد وهو "البغدادي" وبذلك انتهى مجد البصرة والكوفة في دراسات النحو. فكان الخلاف الحاصل بينهما يطلق عليه" المناظرة" التي بلغت حدّتها في الجانب الديني خاصة عند الفرق الكلامية(المعتزلة، الأشاعرة...) فما لبثت أن صارت فنا له شروطه، فكانت من أغزر الينابيع في توليد الآراء الجديدة، وإظهار الدفين منها وتنقيتها للوصول إلى الصواب، وكانت من أكثر الوسائل جاذبية أنجحها في نشر الآراء أو هدمها، فقد نال النحو العربي حصّته منها خاصة بين علماء البصرة والكوفة، إذ كانت المناظرة بينهما هادئة في بداية الأمر إلى أن صارت ساخنة فيما بعد، إذ أذكتها العصبية القبلية والحرص على التقرب من الخلفاء والولاّة، فكانت تقام في الأماكن العامة، أو قصور الخلفاء، أو في مجالس خاصة. إذ من الطبيعي جدا أن ترصد أقلام المهتمين والمشتغلين بمجال النحو كلّ هذا وإعطاء لكلّ ذي حق حقّه، فكان كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنبا ري كالقاضي الذي حاول أن ينصف بينهما وإقامة النصرة عليهما، ومن هنا نقول:

- ✓ إلى أيّ مدى بلغت الخصومة بين مدرسة البصرة والكوفة؟
- ✓ وهل تقيدتا بشروط فن التناظر؟ وما هو منهج كلّ منهما في الدراسة؟
- ✓ وهل وفّقت المؤلفات في رصد الخلاف النحوي الحاصل بينهما؟

✓وهل وفّق "ابن الأنبا ري" في إقامة النصرة بين المذهبين؟

أسئلة وأخرى دفعتنا إلى الاستعانة بالمنهج المقارن الوصفي من أجل الوصول إلى أعماق بعيدة وواسعة تكشف لنا المزيد من أسرار اللغة العربية، حيث نعمل على الاجتهاد ضمن برنوس القدماء، لعلنا نستطيع الإتيان بما يكّلى أبحاثهم في التسيير والتصنيف بغية في ثبات القواعد الأصلية والتطور للأحسن في إطار هذا الثبات لمواكبة عصرنا.

ومن جملة الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

- ✓ حبنا لهذا النوع من الدراسة والاهتمام بها، ورغبة منا في إحياء التراث العلمي الهائل لأمتنا العربية، ونقله للّراغبين في تحصيله.
- ✓ شغفنا بقراءة النحو خصوصا كتاب "الإنصاف" لابن الأنباري، الذي كانت قراءتنا له باعثة على الإعجاب، والذي ترسخت صلتنا به من خلال فرصة مهمة وهو إطلاعنا عليه في السنة الثالثة جامعي في مقياس أصول النحو.

فكان من شأن كل هذا أن يولّد فينا الحافز للبحث والكتابة فيه والكشف عن فضائله ورذائله، خصوصا بعد أن شاءت الصدف أن وجدنا كتاب أخر قام على أنقاضه وهو "الانتصاف من الإنصاف" فساورنا الشك بأن ابن الأنباري لم يكن منصفا في حكمه بين المدرستين. من هنا كان عنوان بحثنا:**" فن المناظرة بين النحويين البصريين والكوفيين من خلال كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ":.**

فكانت معالجتنا إّياه ضمن خطة أدرجنا فيها مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فالمقدمة تناولت عرضا للإشكال الذي دار حوله الموضوع، أما الفصل الأول فحاولنا فيه تتبع المسار النحوي لكلّ من البصرة والكوفة والكشف عن أهم أعلامهما وعن مصادرهما في الدراسة ثم حاولنا الوقوف عند الخلاف النحوي وعن أسبابه ومظاهره لنبين أن المناظرة كانت مظهرا من مظاهره. والفصل الثاني كان الحديث فيه عن فن المناظرة ومراحل تطورها، وعن أنواعها، والشروط التي تحكمها. أما الفصل الأخير، فكان جولة في رحاب كتاب" الإنصاف" إذ حاولنا من خلاله التعرف على شخصية "ابن الأنبا ري" النحوية وعن نشأته وعن كتابه الذي خلّد اسمه ضمن النحاة الكبار ثم

حاولنا التطفل على بعض مسائله فعالجنا ثلّة منها والتي علّمتنا في آخر المطاف فن التناظر، وفي الختام حاولنا إعطاء حوصلة لكل ما سبق واستنتاج ما أمكن استنتاجه.
فلم يكن ليتوفر لنا كلّ هذا لولا بعض المصادر والمراجع التي سهّلت لنا هذا البحث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المدارس النحوية لشوقي ضيف، الفهرست لابن النديم، دروس في المذاهب النحوية لعبده الراجحي، في أصول النحو لصالح بلعيد والأغاني والطبقات.... وغيرها.

و مما لا شك فيه أن كلّ من يخوض غمار البحث والمعرفة لا يسلم من العراقيل والصعوبات التي قد تصادفه أثناء البحث العلمي، ولعل من بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذا البحث نجد أنه من الغريب القول أن من بين هذه الصعوبات كثرة المراجع التي تناولت بإسهاب هذا الموضوع لأن أغلب الطلبة والباحثين لا يجدون في ذلك حرجا، لكن من وجهة نظرنا نجد أن كثرتها يصّعب علينا حصر خطة البحث في عناوين محددة فكان لا بد منّا العودة إلى المصادر الأصلية، واضطرارنا في بعض الأحيان للجوء إلى تحميل بعض المصادر المهمة من الشبكة العنكبوتية نظرا لعدم توافرها في المكتبة الجامعية، ووجود بعض الكتب القديمة على شكل مخطوطات والتي تقريبا يستحيل قراءتها بالعين المجردة، لذلك وجود هذا الكم الهائل من المصادر صّعب علينا البحث وأخذ منّا وقتا معتبرا لانجازه ووضعه في شكله النهائي.

لكن بالّرغم من هذه الصعوبات إلاّ أنها تبقى في طّي النسيان ما دام الهدف من البحث هو الفصل في إشكالية الاختلاف بين المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية، بالإضافة إلى إثراء المكتبة الجامعية بمثل هذه المواضيع وترك بصمة خاصة تثري مشوارنا الجامعي، إذ لم تستطع هذه العراقيل من أن تحبط من إصرارنا وعزمنا على الوصول وعلى مواصلة البحث وانجازه على أكمل وجه، وأمام تفهم الأستاذ المشرف، التي كانت خير عون لنا، وصبرها علينا خاصة في المراحل الأخيرة من هذا البحث. و في الأخير ما عسانا إلا أن نقدم شكرنا للأستاذ الذي مدّ لنا يد العون وبث فينا الأمل بعد أن فقدناه نظرا لكثرة الضغوطات التي واجهتنا أثناء انجاز هذا العمل المتواضع.الأستاذ الفاضل "جوادي إلياس" لك جزيل الشكر والعرفان .

الـفـصل الأوّ ل:

مـدرستـا الـبصرة والـكوفـة

1- مدرسة البصرة الّنحوية وأشهر علمائها.
2- مدرسة الكوفة الّنحوية وأشهر علمائها.
3- الخلاف الّنحوي وأشهر المسائل المختلف فيها

2- مدرسة البصرة النحوية وأشهر علمائها:

1-1- التعريف:

هي إحدى المدارس النّحوية العظيمة التي علا شأنها في النّحو، والتي احتضنته زهاء قرن من الزّمن قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد. فالذي لاشك فيه أن النحو نشأ بصريّا وتطوَّر بصريّا إذ هي أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو، ولكن قبل الخوض في رحاب نشأة النحو في البصرة نلقي إطلالة سريعة عليها، إذ كانت منبعا للنحو ومصدرا لثقافة الكثير من الأمصار الإسلامية، فقد فكانت معروفة منذ بدايات التحرير الإسلامي للعراق"فكانت قديما تدعى ب"بلسرة" فهي مدينة تجارية تقع على شطّ العرب، وقد قامت منذ الأزمان القديمة في تلك البقعة التي يصبّ فيها نهرا الدجلة والفرات في البحر عدة مدن"[1]. فهي إذا من ناحية الموقع "قريبة جدا من بادية نجد والبحرين وعلى ثلاثة فراسخ من غربيها يقع المربد، فهو ضاحية من ضواحيها إذ كان أول الأمر سوقا للإبل، ثم صار متجرا يأتي إليه الناس من كل صوب، وما لبث أن صار سوقا للشعر والأدب ومناظرات للعلماء"[2]. إذا موقعها من الأسباب التي أهّلتها بهذه المكانة.

أما"ابن النديم"فإنه يضيف تعريفا أكثر وضوحا إذ يقول في حديثه عن نحاة الكوفة والبصرة:" إنما قنّمنا البصريين أولا لأنّ علم العربية (النحو)عنهم أخذ"[3].لهذا كانت الريادة للبصرة في وضع النحو منذ القرن الأول للهجرة. إذ استمرت جهود المدرسة على أيدي أعلامها الأوائل"ابن أبي إسحاق الحضرمي،عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب والخليل، وسبويه..."[4]أما "صالح بلعيد" فإنه يجلّى قوله في البصرة" إنها موطن العلوم العقلية نشأ فيها علم الكلام، وظهر الدعاة الأوائل لمذهب المعتزلة، الذي لعب دورا مهما في تاريخ الفكر الإسلامي، والبصرة كما يعرف عنها حكّمت المنطق وأخضعت الأصول إلى أحكام

(1)- خديجة الحديثي: المدارس النحوية (د- ط)، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن،2001، ص25.

(2)- محمّد أحمد برانق: النحو المنهجي،(د- ط) لجنة البيان العربي، بدون بلد النشر،(د-ت) ص27.

(3)- أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوّراق بن النديم، الفهرست،تح: علي زين الدين العابدي الحائري المازندارتي، ط3، دار ميسرة، 1988،ص71.

(4)- عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، ط1، دار النهضة، بيروت، 1980، ص9.

العقل إن وجد تعارض بين النقل والعقل واصطنعت أساليب المتكلمين في تثبيت أصل أو توضيح القواعد، وفي البصرة كذلك اختلطت الثقافات وقد استفادت البصرة من ثقافات الأعاجم عن طريق الاختلاط وعن طريق الترجمة والتعريب"[1]. ولكن لأسباب معروفة أو غير معروفة فقد انتشر اللّحن وفعل ما فعل وهذا ما دفع اللغويين إلى الاجتهاد لحفظ العربية وتيسر تعلّمها للأعاجم. فشرعوا يتكلمون في الإعراب وقواعده حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن"والذي تجمع عليه المصادر أن النحو نشأ بالبصرة، و بها نما من واتسع، تكامل وتفلسف"[2]. والتي لم يكن لها كلّ هذا لولا تضافر مجموعة الأسباب كالموقع وكذا قربها من سوق المربد.

وكل هذا الفضل يعود إلى علمائها الّذين أفنوا عمرهم في الانتقال والبحث والتسجيل "بدء من أبي الأسود الدؤلي وصولا إلى حدود الطبقة العاشرة أين وضعت القوانين النحوية في شكلها النهائي إلاّ أن ركائز البحث اللغوي الذي أصبح فيما بعد يلقب ب "المدرسة البصرية" كان عماده الخليل بن أحمد الذي وهب نفسه للبحث»[3].

2-1- أسباب اشتغال البصرة بالنحو قبل الكوفة:

لقد كان للمذهب البصري وجود ومكانة في النحو العربي، لكن هذا لم يكن إلا بفعل مجموعة من الأسباب بموجبها كانت ريادة النحو لها قبل الكوفة، التي كانت بدورها أسبق من بغداد منها ما يلي:

1-2-1- العامل السياسي:

كانت البصرة عثمانية أموية، وكانت الكوفة علوية عباسية، "إذ اتخذ علي بن أبي طالب الكوفة مقرا لخلافته إذ صار أهل الكوفة مطيعين له ففي الوقت الذي شقّ فيه أهل البصرة عليه عصا الطاعة، ولما جاءت السيدة عائشة- رضي الله عنها- ومعها جيش طلحة والزبير فكانت "موقعة الجمل"، وما انجر عنها فكان ما كان"[4] فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية، والكوفة قرشية علوية، ولما كانت الغلبة للأموية كان

(1)- صالح بلعيد: في أصول النحو،(د- ط)، دار هومه، الجزائر، 2005،ص146..

(2)- سعيد الأفغاني: في أصول النحو،(د- ط)، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994، ص160

(3)- صالح بلعيد: في أصول النحو، ص147.

(4)- محّمد الشاطر أحمد محّمد،الموجز في تاريخ النحو العربي (د- ط)، مكتبة الكلّيات الأزهرية القاهرة، 1983. ص23.

الاستقرار والهدوء لصالح البصريين في الوقت الذي كانت قلوب الكوفيين تغلي، فقد قال الأعشى على لسان الكوفيين:

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل[1].

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فقد تغيرت أحوال السياسة وسقطت الدولة الأموية، وجاءت الدولة العباسية التي بايعها الكوفيون فانقلب ذّل الكوفيين في عصر الأمويين إلى عزّ في عصر العباسيين، وأفلّ نجم البصرة، بعد أن كان ساطعا. وهكذا كان قوله تعالى:﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾**[آل عمران الآية 140]** ولئن تقاعست البصرة في عهد العباسيين فقد فازت بعقب السبق في عهد الأمويين على غيرها فتمكنت من حمل لواء رئاسة العربية ولا سيما النحو.

1-2-2- الموقع الجغرافي:

لقد كان لموقع البصرة أثر واضح في سبقها للاشتغال بالنحو: "إذ تقع على طرف البادية مما يلي العراق، فهي أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح الذين لم تلّوث لغتهم بعامية الأمصار، وقد نشأ أهل الأصقاع التي اختطت فيها هذه المدينة في ظلال الحرية التي درج عليها العرب وألفوها ولم يمتد إليهم من التأثير الأجنبي ما يطفئ جذور العروبة"[2]. فعلى مقربة منها نجد "بوادي نجد غربا والبحرين جنوبا، والأعراب يفدون إليها، هذا ما مكّن أهل البصرة من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا عناء السفر"[3].هذا ما ساعدهم على أن تكون روايتهم للأخبار صحيحة.

1-2-3- قرب سوق المربد من البصرة:

كان للعامل الثقافي أثر واضح "إذ كانت تنعقد فيها مجالس للعلم و المناظرة، ويفد الشعراء إليها، فهي تشبه سوق عكاظ في الجاهلية ينزل فيها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار، واللغويون يأخذون عن أهلها ويدونون ما يسمعون فيأخذ البصريون ما يصحح قواعدهم"[4]. أّما الكوفة فكانت أبعد

(1)- أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس ط2، دار صادر، بيروت، 2004، ج4، ص55.

(2)- محّمد الشاطر أحمد محّمد: الموجز في تاريخ النحو العربي، ص35.

(3)- عبود السامّرائي: المفيد في المدارس النحوية، ط1، دار ميسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص26.

(4)- محّمد الشاطر أحمد محّمد: الموجز في تاريخ النحو العربي، ص24.

عن جزيرة العرب من البصرة فقد أنشئت في مكان امتد إليه النفوذ الأجنبي وأثّر فيه "فهي قريبة من الخيرة مقر المناذرة العرب، وبين هؤلاء والفرس صلات وعلاقات وكان لهذا أثر في أهل الكوفة وفي طباعهم"[1]. هذا ما جعل روايتهم تتسع وبدون أية شروط.

1-2-4- الطباع والميول:

إنّ سكان البصرة "كانوا أصلب عودا وأصعب مراسا، وكانوا يناصرون الأمويين فيما كان الكوفيين أميل إلى الطاعة والهدوء".

1-2-5- صفاء العروبة:

لقد كان سكان البصرة أعرق في الفصاحة لأنهم من قبائل أصفى لغة، وكانوا فوق هذا على صلة بالبادية يرحلون إليها لمشافهة أهلها والأخذ عنهم لهذا كان المعين الذي اعتدّ منه البصريون اللغة العربية معينا صافيا غزيرا بعيدا عن الشوائب نقيا من آثار الشك، وعوامل الضعف، أما سكان الكوفة فلم تكن بيئتهم في الصفاء اللغوي الذي كان لبيئة البصريين، ولم تتهيأ لهم العوامل التي تجعل منابع لغتهم نقية فقد أخذوا عن قبائل أقل فصاحة، وجاء اشتغالهم بالنحو متأخرا عن اشتغال البصريين.

1-3- مصادر الدراسة عند البصريين وأشهر علمائها:

1-3-1- المصادر:

لقد اعتمد البصريون في دراستهم على طائفة من المصادر، والتي من خلالها بنوا صرحهم النحوي وهي:

القرآن الكريم:

و هو أصدق مرجع وأصّح مصدر يعود إليه النحاة في تقنين القواعد، واستخراج الأصول، لأن العربية لم تشهد كتابا أحيط بالعناية واكتنف بالرعاية منذ زمن مبكر.إذا فإن القرآن الكريم يعد أحد المصادر المهمة التي توثق بها البصريون مما أسسوا من نحوهم، إذا كانوا يستشهدون في كثير من الأحاديث بآيات من الذكر الحكيم.

---

(1)- عبد الكريم محمّد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي،ط1، دار الشّواق، الرياض، 1992، ص34.

الشعر العربي:

لقد اعتمد البصريون في استشهادهم على الشعر الجاهلي لكن ما لبثوا أن تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي، فكان لشعر جرير، الفرزدق، العجاج، ورؤية وأبي النجم نصيب أوفر. لكن هذا لا يعني عدم الاطمئنان إلى سلامة لغة الذين ينتمون إلى أصول غير عربية، فقد جاء أنّ" أبا عمرو بن العلاء قد قال في الحسن البصري والحجّاج بن يوسف الثقفي، فقد قيل له:أيهما أفصح، قال: الحسن"[1] لكننا نجدهم لا يطمئنون مثلا إلى شعر بشار بن برد[*]، ويذهب السيوطي - مستندا إلى ما رواه ثعلب عن الأصمعي إلى أنّ "إبراهيم ابن هرمة (ولد سنة تسعين للهجرة، وعمّر طويلا حتى اجتاز منتصف القرن الثاني) آخر من يحتج به"[2]. فهم يستشهدون على وجه التقريب بأشعار المحدثين الذين عاشوا حتى منتصف القرن الثاني للهجرة.

الفصحاء من العرب:

وهم سكان البادية الذين ابتعدوا عن التأثر بلغات أجنبية "والذين ينتمون في الغالب إلى قيس، وتميم وأسد وهذيل، وبعض كنانة وطيّ، أو بعبارة أوضح هم الذين يسكنون بأواسط بلاد العرب، وكانوا أكثر توغلا في البداوة وأبعد عن الاتصال بالأقاليم والأرياف.

الأمثال:

وما جرى مجراها من عبارات قصيرة حفظها الاستعمال وشاعت عن الألسنة كقول العرب:" الصيف ضيعت اللبن، رجع بخفّي حنين، تمرة خير من جرادة،....إلى غير ذلك مما يطمئن إلى صحته وصحة الاستشهاد به"[3].

الحديث النبوي:

فلم يجوّز اللغويين والنحاة الأولون "كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد من البصريين، و الكسائي وهشام والفرّاء وغيرهم من الكوفيين

(1)- ابن خاليكان: وفيات الأعيان، تح:إحسان عباس،(د-ط) دار صادر، بيروت، (د- ت)، ج1، ص70.

(*)- لقداحتّج أهل اللغة بشعر بشار كما احتجوا بشعر غيره من المولدين لكن النحاة لم يحتجوا بشعره.

(2)- جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو،(د- ط)، دار المعرفة الجامعية 2006، ص27.

(3)- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة،ط2- ملتزم للطبع والنشر، مصر 1958، ص52.

الاستشهاد به في النحو وحاكاهم المتأخرون من بغداد والأندلس اللهم إلا جماعة منهم في مقدمتهم "ابن مالك"، وأبو حيان النحوي الغرناطي"[1]. بهذا يمكننا القول أنّ لغة التنزيل والشعر القديم جاهلّيه و إسلامّيه وأمثال العرب....كانت المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية واستعدوا الحديث الشريف من احتجاجهم فلم يستشهدوا به بحجة أن أكثره يشتمل على قدر كبير من التحريف روي بالمعنى، ولم يضبط باللفظ.

1-3-2- طبقات النحاة البصريين:

لا خلاف في أنّ بداية النحو كانت بالبصرة، وأنّ هذا العلم نما وترعرع في أحضانها، ولم يتسرب منها إلى الكوفة إلا بعد أن أضحت أصوله تتمايز وقواعده ترسو، ومن هنا كانت مدرسة البصرة تشكل الأرضية الأولى لمدرسة تابعة لها وهي الكوفة، فكان لكل مدرسة أعلامها ونحاتها.

"هذا وقد بدأت نشأة علم النحو بالبصرة على يد أبي الأسود الدؤلي(ت،69ه)، وتوالت طبقات النحويين البصريين طبقة بعد طبقة، وبعد نشأة النحو أخذت الكوفة تدرسه وتجتهد فيه، وظهر فيها أعلام مشهورين، وتوالت طبقات الكوفيين النحويين كذلك طبقة بعد طبقة"[2].وهم بالترتيب على النحو الآتي:

- ❖ الطبقة الأولى: تبدأ من عهد نصر بن عاصم(ت،89ه) إلى يحي بن يعمر (ت،129).
- ❖ الطبقة الثانية:تبدأ هذه الطبقة من عهد عبد الله بن آبي إسحاق الحضرمي(ت،117ه) إلى عهد أبي عمرو ابن العلاء(ت،154ه).
- ❖ الطبقة الثالثة:تبدأ هذه الطبقة من عهد الأخفش الأكبر(ت،172)إلى عهد يونس بن حبيب(ت،182ه).
- ❖ الطبقة الرابعة: تبدأ من عهد سيبويه(ت،188ه)إلى عهد أبي زيد الأنصاري (ت،215ه).

---

(1)- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة، ومنهجها في دراسة النحو واللغة، ص52.

(2)- القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السرافي: أخبار النحويين،تح: طه محّمد الزيني ومحّمد عبد المنعم خفاجي،ط1، ملتزم للطبع والنشر، مصر،1955،ص6.

❖ الطبقة الخامسة:كانت هذه الطبقة في عهد الأخفش الأوسط (ت،211ه).

❖ الطبقة السادسة: كانت هذه الطبقة في عهد أبي عمرو صالح بن إسحاق البحي (الجرمي)،(ت،225ه).

❖ الطبقة السابعة: كانت هذه الطبقة في عهد المبرد، وكان إمام هذه الطبقة (ت،285ه).

قد نصطدم في بحثنا باختلاف في تقسيم هذه الطبقات من مؤلف لآخر، فهناك من أدرج لها سبع طبقات، وآخر خصص لها ثمانية طبقات، وكل مؤلف أو بالأحرى كل طبقة لها أعلامها، وهؤلاء الأعلام يختلفون من طبقة إلى أخرى،حيث يصاحبنا في بعض الأحيان تداخل بين هذه الطبقات. ولكن هذا التمايز بين المؤلفات لا يشكل لبسا ولا غموضا، لأن كل هؤلاء الذين حملوا على أكتافهم عبء هذا العمل وبذلوا ما بوسعهم لإرساء هذا العلم، وبفضلهم أصبحت هذه المدرسة في غضون قرن أو أكثر مدرسة تامة البنيان، وأضحت بحق مدرة تامة النضج، لمناهجها وقواعدها ومبادئها.

2- مدرسة الكوفة النحوية وأشهر علمائها:

2-1- التعريف:

لا تذكر البصرة إلاّ وتذكر معها الكوفة، كأنهما صارتا وجهين لعملة واحدة. فقد كان للكوفة فضل في تأسيسه وتطويره إلى جانب البصرة وأنّ الازدهار الذي حققته في مراحلها الأولى يعود إلى التنافس الشديد الذي ارتفع إلى درجة الخلاف حول الكثير من ظواهر اللغة، لكن قبل الخوض في الحديث عن النحو الكوفي، ارتأينا أن نتعرض على هذه الرقعة.

لهذا فقد ورد اختلاف بين اللغويين في تسمية الكوفة، خاصة قبل التحرير العربي، فقد قال ابن سيدة "الكوفة بلد سميت بذلك لأن سعدا لما أراد أن يبني الكوفة ارتادها لهم، وقال لهم: تكّوفوا في هذا المكان أي اجتمعوا فيه، وقيل إنه كان معروفا قبلها، وقال الكسائي:كانت الكوفة تدعى "كوفان" وقال الأزهري" كوفان إسم أرض وبها سميت الكوفة" لذا فإن الملاحظ عليه أن هذه التعاريف كلها تنطلق من أنّ الكوفة اسمها ينطلق من طبيعة أرضها، أما من ناحية الموقع" فإنها تقع في وادي الفرات الأوسط الخصيب على الضفة الغربية للنهر إلى الشرق من مدينة الحيرة، حيث تشرف

على سهل واسع خصيب، يحده من جهة الشرق الصحراء الواسعة، المطلقة على مشارق بلاد الشام"[1]. إذا اسم الكوفة مرتبط بطبيعة أرضها حسب جلّ الباحثين.

وهكذا نمت الكوفة بعد تمصيرها سريعا "حتى كانت في مطلع القرن الرابع حاضرة عراقية كبيرة تتبعها في الإدارة بابل وعين التمر وغيرهما، ثم تقلص ظلها في العهد التركي العثماني فأصبحت ناحية صغيرة تتبع في إدارتها"قضاء النجف" وظلت كذلك في الإدارة العراقية بعد استقلال الحكم الوطني في العراق"[2]. وبعد تمصير البصرة ظهرت الكوفة بعدها، إذ صارت قبلة أنظار العرب وزعمائهم، ثم اشتهرت في التاريخ الإسلامي وشغلت مكانا واضحا في القرن الثاني والثالث، "فقد عرفت بعلويتها وكانت مركزا من مراكز العلم، فما لبثت أن التحقت بالبصرة، إذ هناك حقيقة معروفة هي أن الكوفة تعلمت النحو من البصرة، ثم بدأت تتخذ لنفسها منهجا خاصا بها حتى تشكلت لها مدرسة متميزة وحتى لا نكاد نجد مسألة من مسائل النحو ألا وفيها مذهبان بصري وكوفي، بل لعلك تستطيع معرفة رأي احدهما، إذا وقفت على رأي الأخرى وحدها"[3]. إذا فالكوفة استطاعت أن تلحق بالبصرة في ظرف زمني وجيز وأن تشاركها في هذا المسعى" فكان منهم نحاة وعلماء و علماء لغة وأصحاب روايات في القراءات وسائر الفنون العربية، وما يتصل بها من أخبار وعلم بالأيام والوقائع"[4]. فمن خلال الموقع الذي تبوأته مدينة الكوفة، وذلك على حدود العراق الصحراوية، صارت مركزا للتبادل التجاري، وأصبحت ملتقى القبائل العربية القادمة من الحجاز واليمن "هذا ما سمح بانتشار مراكز ثقافية متعددة منها:مسجد الكوفة، دور الخلفاء والأمراء والوزراء والأغنياء من أهل الكوفة التي كانت مركزا لنشر العلم والثقافة بدون أن لا ننسى المجالس التي كانت تعقد فيها المناظرات، إذ كانت حلقة للفقهاء واللغويين والنحاة، وكانت فسحة للمعرفة واستزادة للعلوم، ناهيك عن دور الرحلة التي كان لها دور فعال

---

(1)- صالح رّواي: النحو نشأته، تطوره مدارسه رجاله، (د-ط) دار غريب للنشر، القاهرة، 2003، ص368.

(2)- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص2.

(3)- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي،(د-ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص89.

(4)- إبراهيم عبود السامّرائي المدارس النحوية أسطورة وواقع،ط1، دار الفكر، الإسكندرية،1987،ص31.

في تنمية العلوم وانتشارها بين الكوفة وغيرهما من الأقطار العربية"[1]. أما عن تمصيرها فكان ذلك على يد "سعد بن أبي وقاص" وذلك في السنة السادسة عشر للهجرة، ثم صارت قبلة للعرب والعجم، إذ يقول سلمان الفارسي:"بأن أهل الكوفة هم أهل الله وهي قبة الإسلام، بالإضافة إلى نزول سبعين رجلا من أصحاب الرسول(ص)"[2]. إذا فالكوفة أضحت بلاد الأدب وغاية الطلب ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف.

كما ذكرنا آنفا أنّ موقع الكوفة امتدت إليه النفوذ الأجنبي، هذا ما أثّر في طباعهم "إذ كانوا أقرب إلى الإذعان والخضوع اللّين والتساهل، وكان فيهم أيضا صبغة من الاتجاهات الفارسية في العلوم ومناهجها، كما أنهم كانوا أميل إلى الطاعة والهدوء، فقد كانوا يناصرون علّيا الذي هبط إلى الكوفة واتخذها حاضرة له، وأما عن صفاء عروبتهم، فلم تكن كذلك فقد أخذوا عن قبائل أقل فصاحة، وجاء اشتغالهم بالنحو متأخرا عن اشتغال البصريين"[3]. هذا ما يتجلى بوضوح في منهجهم إذ لم يتشددوا فيه سواء تعلق الأمر بجمع المادة أو ضبطها.

2-2- مصادر الدراسة عند الكوفيين:

إن للكوفيين طابعهم الخاص ولهم مصادرهم التي ارجعوا إليها أصول دراستهم النحوية....وجملة هذه المصادر هي:

2-2-1- النحو البصري:

وهو كما تلقوه عن عيسى بن عمر والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وكما جاء به كتاب سيبويه،" لذا فأئمة الكوفيين إذن كانوا قد وقفوا على النحو البصري مشافهة أو مناقلة، ولابد أنهم كانوا قد أفادوا من أعمال البصريين، وكان لهم منها نقاط ارتكاز اعتمدوا عليها في نهجهم الجديد"[4]. فهذا الاعتماد كان في البداية فقط ثم بعد ذلك صنعت مجدها بنفسها.

(1)- خديجة الحديثي: في المدارس النحوية ص144.

(2)- صالح رّواي: النحو العربي نشأته مدارسه رجاله ص273.

(3)- عبد الكريم محّمد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي ص(35-36).

(4)- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص330.

2-2-2-السماع عن العرب:

لقد شاع في الدرس النحوي أن الكوفيين متساهلون في الأخذ عن القبائل، "حيث لم يشترطوا ما اشترطه البصريون من تحديد الزمان والمكان، فاتهموهم بالاعتماد على جميع اللغات دون تمييز بينها وقبولهم الروايات الشاذة والنادرة والاعتماد على المثل الواحد بصرف النظر عن صحته"[1]. فكل هذا كان فقط من أجل مخالفة البصريين في المنهج.

2-2-3- لغات الأعراب التي اعتمد عليها البصريون:

وهي لغات أعراب البوادي الذين ابتعدوا عن الأرياف، وبعدت لغتهم عن التأثر بلهجاتها، فإن الذّين نقل البصريون عنهم، واحتجوا بكلامهم من بين قبائل العرب "قيس، تميم، أسد ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يأخذ عن غيرهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري ممن كانوا يسكنون أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم"[2].فهذه هي لغات القبائل التي احتّج بها البصريون باعتبارها المشهورة آنذاك.

2-2-4- لغات أخرى أبى البصريون الإشهاد بها:

وهي لهجات عرب الأرياف، الذين وثقوا بهم، كأعراب سواد الكوفة من تميم وأسد، وأعراب سواد ببغداد من أعراب الحطيمة الذين غلط البصريون لغتهم ولحنوها، إذ وثق بهم، وأخذ عنهم واحتج بلغتهم على سبويه في المناظرة التي جرت بينهما في المسألة المعروفة.

2-2-5- الشعر العربي:

لقد كان الشعر الجاهلي والإسلامي مصدرا مهما وأساسا بنوا كثيرا من أصولهم عليه فقد جّوزوا اجتماع الألف واللام وحرف النداء«يا»محتجين بما أورده من أشعار جمع قائلها بين هاتين الأداتين كقول الشاعر:

فيا الغلامان اللذان فرَّا إياكما أن تكسباني شرًّا

---

(1)-. عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي ص219

(2)-. جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو ص19.

وقول الأخر:

فديتك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالوُّد عني

2-2-6- القراءات القرآنية:

للنحو عند الكوفيين صلة بالأعمال القرآنية ويرجع ذلك لأسباب منها:

- ❖ أنّ الكوفة كانت مهبط الصحابة(رضوان الله عليهم) فقد نزل بها عدد كبير من الصحابة، وكان أشهرهم عربا لا يتهمون في فصاحتهم مما جعل الكوفة مهبط القراءات القرآنية[1].ومن هؤلاء نبغ ثلاثة من القرّاء يشهد عليهم بصحة القراءات.
- ❖ إن الذين أسسوا النحو الكوفي كانت لهم اهتمامات بالدرس القرآني قراءة وتفسيرا، فأستاذ الكوفة الكسائي إمام من أئمة القراءة المتواترة كما أن الرجل الثاني وهو الفّراء كانت له عناية خاصة بالقرآن الكريم.

2-3- طبقات النحاة الكوفيين:

قسّمت كتب الطبقات علماء الكوفة على النحو التالي:

الطبقة الأولى: منها:

- الرِؤاسي (ت،175ه)، وهو أستاذ هذه الطبقة.
- شيبان بن عبد الرحمن (ت،14ه).

الطبقة الثانية: نجد من بين رجالها:

- الكسائي (ت،189ه)، وهو من أشهر علماء هذه الطبقة، بل هو المؤسس الحقيقي- كما يقال- لمدرسة الكوفة.
- أبو الحسن الأحمر (ت،194ه).
- الفّراء (أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي) (ت،207ه)
- هشام الضرير (ت،209ه).
- اللحياني (ت، 220ه).

---

(1)- ينظر:عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي ص222.

الطبقة الثالثة: من أعلامها:

- القاسم بن سلام (ت،223ه).
- ابن الأعرابي (ت،231ه).
- ابن سعدان (ت،231ه).
- الطوال (ت،243ه)
- ابن السكيت (ت،244)
- ابن قادم (ت،251ه)

الطبقة الرابعة: إمامها ثعلب (ت،291ه)

نشأت مدرسة الكوفة بعد البصرة، وبدأت بداية غامضة حتى لا يكاد يبين من أمر علمائها الأوائل إلا مجرد أسمائهم، وهناك أقوال كثيرة حولهم وحول اشتغالهم بالنحو، ومهما قيل فإن أهل الكوفة لم يفتهم الاشتراك في هذا العمل الضخم، إذ اتخذوا البصرة متتلمذا لهم حتى يسّر الله لهم من ثماره النصيب الأوفى. فاشترك علماؤها مع علماء البصرة في النهوض به من عهد شيخهم أبو جعفر الرؤاسي(ت،175ه) ومن هنا طفق علماء المدرستين يتنافسون فيما بينهم للظفر بقصب السبق في هذا الميدان[1].ومن كل ما سبق ذكره آنفا، يمكن القول أن الاجتهاد في النحو، قد انتهى على يد المبرد البصري وثعلب الكوفي.

3- الخلاف النحوي بين المدرستين وأشهر المسائل المختلف فيها:

3-1- التعريف:

إن الحديث عن الخلاف النحوي بين المدرستين البصرية والكوفية يقتضي أولا الإحاطة بمفهوم الخلاف بصفة عامة. كما أن الخلاف النحوي بين هاتين المدرستين لم ينبثق من العدم بل كان وراءه عدة أسباب عملت على تغذية الصراع وتعميق هوة الخلاف بين البصريين والكوفيين، ولقد كان من أهم هذه الأسباب السبب السياسي وكذا الخلاف في المنهج المتبع في الدراسة.

---

(1)- إبراهيم عبود السامّرائي: المفيد في المدارس النحوية ص86.

لقد جاء في لسان العرب"الخلاف: المضادة، وقد خالفه، مخالفة وخلافا، وفي المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه"[1]. لهذا فإن الخلاف بين الناس أمر بديهي، فمن آيات الله في خلقه أن جعل الناس مختلفين في كل شيء في اللون والشكل واللسان، وفي مستوياتهم العقلية والذهنية، إذ قال تعالى:﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾**[الحجرات- الآية 13-]**

أما عند النحاة فالخلاف هو ما نشأ بين علماء البصرة والكوفة من تباين في تعليل الظواهر اللغوية، ومن تمايز في استنباط الأحكام النحوية واختلاف في فهم الأصول واستخدامها وتقعيد القواعد وتخريجها إلى غير ذلك مما يمت إلى علم النحو واللغة[2].وعلى الرغم من أنّ كلا الطرفين استعمل نفس الأصول واستخدم نفس الوسائل فإنّ كلا منهما كان له فهمه الخاص لها وموقفه المتميز منها.

3-2- أسباب الخلاف النحوي بين المدرستين:

لقد كانت الحركة العلمية بالعراق ثرية بعلوم اللغة العربية فقد نشأ النحو بصريا وتطّور بصريا قرابة مائة عام، لكن الكوفة ما لبثت أن لحقت بركب البصرة، واستطاعت أن تشاركها في العمل. لكن بفعل مجموعة من العوامل نشأ خلاف بينهما سواء أن كان ذلك من الناحية السياسية أو في المنهج المتبع فأصبح لكل منهما مذهبا أو مدرسة لكل منهما أصوله، ومصطلحاته الخاصة به.

3-2-1- العامل السياسي:

إن الخلاف بين المدرستين كانت بدايته سياسية، فبعد ن بدأت حملة تمصير البصرة سنة 15هـ. وبعدها بستة أشهر أسّست الكوفة، حتى ازدهر البلدان في عهد عثمان بن عفان(ض)، وصارتا قبلة العام والخاص، وإذا قيل العراق كان معناه البصرة والكوفة." فبعد مقتل عثمان- رضي الله عنه- تولى علي – كرم الله وجهه- الخلافة فانتقل إلى الكوفة واتخذها مقرا لخلافته، وفي ذات الوقت نزلت أم المؤمنين عائشة

(1)- أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري ابن منظور: لسان العرب،ط4، دار صادر،بيروت، 2005،ص137.

(2)- جميل إبراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت 1977، ص211.

- رضي الله عنها- البصرة. لمحاربة علي بن أبي طالب وثأرا لعثمان بن عفان. فكان بينهما ما يعرف "موقعة الجمل"[1]. ومن هنا أصبحت البصرة عثمانية والكوفة علوية، وما لبث هذا الخلاف مع تعاقب الأيام يزداد اتساعا خاصة في دولة بني أمية. التي كانت إلى جانب البصرة، لكن دوام الحال من المحال، فقد قامت الدولة العباسية فعزت الكوفة بعد ذلٍّ، وأفلّ نجم البصرة بعد تألق واستمر الخلاف بين المدرستين حتى انتقل إلى المسائل العلمية.

3-2-2- الخلاف النحوي في المنهج المتبع:

لكي يصاغ علم دقيق لا بد من قواعد تقوم على السماع والاستقراء الدقيق وأن يتبع بشروط صارمة لا يتحقق العلم إلا بها، وأن تصبح كل قاعدة أصلا مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياسا دقيقا وهذا ما قام به أبي إسحاق وتلاميذه البصريون، حيث اعتمدوا عدة شروط منها: السماع، القياس، مصادر الاستشهاد(القرآن، الحديث، كلام العرب).

تعريف المنهج:

لقد وردت كلمة منهج لغة: نهج طريق بّين واضح. والمنهاج: الطريق المستقيم(الواضح) [2]. وأما في قوله تعالى فكانت تشير أيضا إلى الطريق الواضح البّين أيضا، يقول تعالى:﴿ لكّل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[المائدة- الآية 48].

أما اصطلاحا فهي طائفة من القواعد والقوانين العامة تسيطر على سير العقل وتحّدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوع من الموضوعات. أو بعبارة أخرى تحدد للعلماء الطريقة التي يسلكونها في بحثهم وترسم لهم الخطوات العقلية التي يتبعونها من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية في أيّ موضوع من الموضوعات[3]. إذا فالمنهج يراد به الإقناع بحقائق معلومة لا البحث عن حقائق جديدة وذلك بمجموعة من القوانين التي تسيطر على سير العقل.

---

(1)- صالح رّواي: النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله ص415.

(2)- ابن منظور: لسان العرب مادة نهج.

(3)- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي،(د- ط)، دار غريب، القاهرة، 2004، ص11.

شروط المنهج:

إن الإنسان في تفكيره قد ينظم أفكاره ويرتبها حتى يصل إلى المطلوب على أيسر وجه، وعلى نمو طبيعي تلقائي ليس فيه تحديد، ولا تأمل لقواعد معلومة من قبل، لكن تظّل هذه الصفة منهجا تلقائيا لا يمت بصلة إلى المنهج العلمي الذي لا يكون إلاّ بشروط معينة نذكر منها:

- ❖ لا دخل للمصادفة والاعتباط في قواعده.
- ❖ أن يكون المنهج عقليا منظما لا شأن للعواطف فيه. لذا أطلق على المنهج بأنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العلمية تهيمن على سير العقل.
- ❖ لذا فإنّ المتخصص للمصادر والكتب النحوية سيجد حتما خلافا بين مدرستي البصرة والكوفة في المنهج المتبع وما سنعرضه الآن لنبين ذلك.

3-2-3- منهج مدرسة البصرة النحوية:

لقد اعتمدت مدرسة البصرة على منهج علمي دقيق يحمل الخصائص التالية:

- السماع(العقل): لقد اختلف العلماء في تعريف السماع:" فقال ابن الانباري النقل والكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارجي عن حد القيل إلى حدّ الكثرة"[1]. أما السيوطي: فالسماع عنده هو" ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيه(ص) وكلام العرب قبل بعثته، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين نظما ونثرا عن مسلم او كافر فهذه ثلاثة أنواع لا بدّ في كل منها من الثبوت"[2]. لهذا فإن السماع قبل كل شيء هو الأصل الأول في بناء النحو العربي اتفاقا فلم ينكر أحد من العلماء أن السماع حجة، لأنه المقدمة الأولى الضرورية لبناء النحو وكل أصول النحو الأخرى ترتبط به ولو بطرف."لهذا يتسع مصطلح السماع في هذه الدراسة لمصطلحات الاستقراء، الرواية والنقل"[3]. لهذا فإن علماء العربية الأوائل قد اعتمدوا عليه في تدوين اللغة التي كان يتكلم بها العرب

(1)- ابن الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني،ط2، دار الفكر، بيروت، 1971، ص82.

(2)- جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو ص24.

(3)- حسن خميس الملخ: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي،ط1، دار الشروق، الأردن، 2001،ص142.

الخلّص وكانت غايتهم من ذلك المحافظة على لغة العرب من التأثر باللغات الأعجمية والاضمحلال والدروس فيها. "وقد شهد القرن الأول للهجرة بداية الانطلاق إلى جمع مواد اللغة عن طريق الرواة اللغويين يحثهم على ذلك قول عبد الله بن العباس:"إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإنّ الشعر ديوان العرب"[1]. وقد بلغت عملية الجمع أوجها في القرن الثاني للهجرة و"كان أوّل من ابتدأ به علماء البصرة ثم الكوفة ثم بغداد. وقد جعلوا من البادية مجالا لاستقرائهم ولسماعهم اللغة الفصحى من سكانها الذين لم تشب ألسنتهم شائبة لحن ولم تفسدها عجمة، يروون ما يسمعون ويكتبون في صحفهم التي ترافقهم في حلّهم وترحالهم كل هذا"[2]. ولهذا كان منهج البصريين في الأخذ على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللّسان و"لذلك اختاروا مجموعة من القبائل التي اعتمدوا عليها وهي قبائل مقطوع بعراقتها في العربية والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية فاختاروا من العرب: قيسا وتميما وأسدا. فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء، ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين"[3]. وعلى العموم فإنّهم لم يأخذوا إلا عن القبائل التي في قلب جزيرة العرب البعيدة عن السواحل. ومخالطة الأعاجم، فقد نّبه "ابن جني" على أهمية هذا المبدأ وهو أن الاختلاط الذي يكون بين العرب وغيرهم يترتب عليه فساد لغتها يقول في باب (ترك الأخذ عن أهل "المدر" كما أخذ عن أهل الوبر). "وعلّة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل "المدر" من الاختلاط والفساد والخطل، لو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم تعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل "الوبر"...."[4]. كما نّبه على ذلك الجاحظ إذ يقول:"ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا(يعني اللحن) وأشباهه يهرجوه ولم يسمعوا منه،لأنّ ذلك يدلّ طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، وتنقص البيان لأنّ تلك اللغة إنما إنقادات، واستوت و اطّردت، وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة

---

(1)- خديجة الحديثي:الشاهد وأصول النحو في كتاب سبويه،(د- ط)، مطبوعات جامعة الكويت 1974، ص129

(2)- المرجع نفسه ص30.

(3)- ابراهيم عبود السامرّائي: المفيد في المدارس النحوية ص29.

(4)- ابن جني: الخصائص،تح: محمّد علي النجّار،(د- ط)، المكتبة العلمية،(د- ت)، ج2، ص5.

وفي تلك الجيرة"[1]. بهذا فإن التوغل في البداوة فهي علامة للفصاحة. بهذا فإن البصريين كانوا أذكياء بارعين حين اشترطوا التوغل في البداوة. لأن البداة قد عرف عنهم التمسك بلغاتهم، وقلما يدعونها إلى غيرهم، وأما" أهل الحضري فإنهم لا ينفكون يتأثرون بكل طارئ"[2]، بهذا فقد روي عن أبي عمرو بن العلاء، "أنه كان يأخذ لغته إلاّ من أشياخ العرب حرشة الضباب في بلدان الكلدات، وجفاة الكمأة في مغاني البداة"[3]، لكن في ذات الوقت نجد الأصمعي يرفض الاحتجاج بشعر ذي الّرمة في قوله للمرأة"زوجة" بدلا من "الزوج" معللا ذلك بقوله "بأنه أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين حتى يشم.

فقد كانت القبائل التي اختارتها البصرة من أجل الاستشهاد بلغتها فقد وضعوا ضوابط محكمة في الأخذ عن القبائل وقد توصلوا إلى مبدأين هما:[4]

- ❖ عدم الاختلاط والبعد عن منافذ الدخيل.
- ❖ التوغل في البداوة.

وهذا دعاهم إلى تحديد عصر الاستشهاد، وتحديد القبائل التي تؤخذ عنها اللغة فكان التصنيف الزماني والمكاني هو التأكد من سلامة لغة المحتّج بهم، وعدم تطرق الفساد على ألسنتهم، "لهذا نجد أنّ أبا الأسود الدؤلي قد حدد للبصريين حدود الفصاحة بانتقاء اللغة التي يدرسونها والقبائل التي يأخذون عنها هذه اللغة"[5]، وقد ورد عن السيوطي" أما الذين عنهم أخذت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، تميم وأسد.... فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتّكل في الغريب والإعراب والتصريف. ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[6]. أما عن الانتقاء الزماني لعصر يدعى عصر الفصاحة يجوز السماع من نصوصه والإستشهاد بها على القواعد

---

(1)- المفيد في المدارس النحوية: ص16.

(2)- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي ص167.

(3)- المرجع نفسه ص169.

(4)- المرجع نفسه ص163

(5)- تمام حسان: الأصول،(د- ط)، عالم الكتب، القاهرة،2000، ص88

(6)- جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو ص101.

لذا يسمى"عصر الإستشهاد". وبهذا "فقد وقع اختيار النحاة على فترة تبدأ بأوّل ما وصل إليهم من نصوص العصر الجاهلي وتنتهي بنهاية القرن الثاني للهجرة"[1] بهذا فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام سواء أسكنوا الحضر أم البادية.

ولم يكتفي النحاة البصريون الأوائل بهذا المنهل الصافي بالنقل من قبائل العرب، بل نهلوا من منابع أخرى رأوا أنها يحقق سلامة اللغة ومن هذه المصادر غير ما سبق" أعراب الحاضرة الذين كانوا يجارونهم على مشارف الصحراء، أو الذين استوطنوا البصرة والأعراب الذين كانوا يفدون إلى سوق المربد بالبصرة الذي يعد بمثابة سوق "عكاض" في الجاهلية، والأخذ عمن اشتهر بالفصاحة"[2].

إذا مسألة السماع لم تتوقف عند هذا الحد، بل جعلت استقراء الخليل للغة العرب تستقر في نفسه سليقتهم استقرارا مكّنه من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطا يبهر كل من يقرؤه، فملاحظته أن " إن" الشرطية إذ ولاّ ها مضارع مجزوم لم يحسن دخول "لام" اليمين في الجواب، فلا يقال:" إن تأتيني لأكرمّك"، لأن اللام تعوق "إن" عن العمل، وقد ظهر عملها في فعل الشرط أّما إذا كان فعل الشرط التالي لها ماضيا فإن عملها لا يكون حينئذ ظاهرا فيه لذلك يجوز دخول "لام" اليمين على جوابها فيقال[3]: "إن أتيتني لأكرمّك"، ويعلّق الخليل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم والشعر من مثل الآية ﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**[الأعراف الآية63]** بخلاف قوله عزّ وجلّ﴿ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ لأن "إن" عملت في فعل الشرط وما عملها في الجواب ويستدل أيضا بقول زهير بن أبي سلمى:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم

أّما عن اللغة التي كانوا يأخذونها فقد كانوا يختارونها بعناية، فهم يختبرون سلامة لغة من يشكّون في أمره، ويروي ابن جني في ذلك إذ يقول" ومن ذلك ما يحكي أن أبا عمرو بن العلاء استضعف فصاحة أعرابي يسمى "أبا خيرة "لما سأله فقال: كيف تقول

---

(1)- تّمام حسّان: الأصول ص89.

(2)- عبد الله ابن حمد الخثران: تطور الدرس النحوي ص183.

(3)- شوقي ضيف: المدارس النحوية ص47.

استأصل الله عراقتهن؟ ففتح أبو خيرة التاء في عراقتهن، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لأنّ جلدك، وهذا يعني أن اللحن أو ما يشبه ذلك ريّ إلى الأعراب"[1]. لهذا فقد بذل البصريون الأوائل جهدا مضنيا في النقل عن هؤلاء الفصحاء الذين انطبقت عليهم شروط الفصاحة، فانتشر العلماء في بوادي نجد والحجاز، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، "فقد سأله الكسائي: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز، ونجد،وتهامة"[2]. وقد دوّن الخليل ما يقرب من عشرين رطلا إلى جانب هذا، "نجد أبو عمرو بن العلاء الذي يروى أنّ كتبه في النقل عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قرب السقف"[3].وقد جاور البدو أربعين سنة مع العلم أنّ الكسائي من الكوفيين لم يقم في البادية إلاّ أربعين يوما.

وقد فضّل أبو زيد الأنصاري علي أبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب لسلامة لغة من نقل عنهم من العرب الذين يعتمد عليهم، جاء في الاقتراح قال أبو المنهال: أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة: أبو عمرو بن العلاء، وهو أوّل من وضع أبواب النحو، ويونس بن حبيب، وأبو زيد الأنصاري وهو أوثق هؤلاء كلهم وأكثرهم سماعا عن فصحاء العرب.

3-2-4- القياس:

لغة: هو قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا واقتاسه إذا قدّره على مثاله.

اصطلاحا: حمل كلامنا على كلام سابق في صوغ المادة وفروعها، وضبط حروفها وترتيب كلماتها، وهذا لمجاراة كلام الأولّين في طرائقهم اللغوية بحمل كلامنا على كلامهم. أي النسج على منوال كلام العرب(قياس الحاضر على الغائب) وبه تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير حاصلة(معلومة) بأعمال العقل.

عند النحاة: هو الأصل الثاني من أصول اللغة الذي عن طريقه يلحق أمر غير منصوص على حكمة بأمر منصوص سابق لاشتراكهما في العلّة، "وأركان القياس أربعة: الأصل(المقيس عليه) الفرع(المقيس) والعلّة(ما يجمع بين الأصل والفرع)

---

(1)- إبراهيم عبود السامّرائي: المفيد في المدارس النحوي ص31.

(2)- شوقي ضيف: المدارس النحوية ص46.

(3)- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص181.

والحكم(القاعدة)"[1]. وقد ورد عند الأنباري في الإغراب: "القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه كرفع الفاعل، ونصب المفعول في كل مكان وإن لم يكن كل ذلك منقولا عنهم. وإنّما لما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول كان محمولا عليه، وكذلك كل مقيس في صناعة الأعراب"[2]. وقال السيوطي على ذلك "وهو معظم أدلة النحو والمعول عليه في مسائله"[3].ولهذا قيل: "إنّما النحو قياس يتبع. وبه في كل علم ينتفع.وحمل غير المنقول على المنقول معناه قياس الأمثلة على القاعدة. وذلك أن المنقول المطرد بتغير قاعدة، ثم يقاس عليها غيرها"[4]. فمذهب البصرة يعتمد على القياس، ومذهب أهل الكوفة يعتمد على السماع "ولا يعتمد البصريون بالشاهد الواحد، لوضع القاعدة النحوية بل لابدّ من الكثرة الفياضّة من هذا المسموع التي تخول لهم القطع بنظائره..... وإلاّ اعتبروه مرويا يحفظ ولا يقاس عليه"[5]. كما أنه لا يقاس عندهم على كل مسموع إلاّ إذا كان من قبائل اشتهرت بفصاحتها ولم تختل لغتها بالاختلاط بالأعاجم.

وخير ما يمثل رأي البصريين في القياس ما ذكره ابن نبي في الخصائص ونلخصها فيما يلي:[6]

- ❖ في العربية ما هو مطرد في القياس والاستعمال جميعا نحو:" قام زيد وضربت عمرا".
- ❖ ومطرد في القياس شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من: يذر ويدع ونحو قولهم: مكان مبقل.
- ❖ ومطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم:أخوص الرمث واستحوذ.
- ❖ والشاذ في الاستعمال والقياس جميعا وهو كتميم مفعول فيما عينه واو نحو: ثوب مصوون.

---

(1)- صالح بلعيد: في أصول النحو، ص 46.

(2)- ابن الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ص(45- 46).

(3)- السيوطي: الإقتراح في أصول النحو، ص 70.

(4)- محمّد عيد: أصول النحو العربي،(د- ط)، عالم الكتاب، القاهرة، 1989، ص69.

(5)- فاضل صالح السامرائي:الدراسات النحوية واللغوية عند الزمحتري،مطبعة الارشاد، بغداد 1971، ص 21.

(6)- ابن جني: الخصائص، ج1، ص(97-98).

❖ قد يكثر الشيء وليس قياس ويقل الشيء وهو قياس وذلك كالنسب إلى شنوءة- شنيء، ومن الأوّل نحو قولهم: ثقيف- ثقفي وفي: قريش- قرشي.

❖ إذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه في غيره نحو قوله تعالى:(استحوذ) فهذا ليس لقياسه لكنه لابد من قبوله.

وعلى العموم فإنّ المذهب البصري يقوم على جملة من الخصائص منها:[1]

❖ الاعتماد على الرواية ويتضح هذا مما جاء عن الشعبي من" أنّ القراءة سنة، فاقرءوا كما قرأ أوّلوكم". فقد كانوا يشددون في فصاحة الرواة.

❖ عني البصريون بالقياس، فهم يقيسون على الشائع من كلام العرب.

❖ ميلهم خاصة المتأخرين إلى التأويلات السعيدة التي خالفها الظاهر، وإيغالهم في التعليل تأثرا بالمنطق وعلم الكلام وتحكيما للمقاييس العلمية.

❖ وقوف البصريين بحذر شديد من القراءات وطعنوا على عدد منها وكان عليهم أن لا يتزمتوا في ذلك لأنّ القراءات تمثل لهجات مختلفة لا ينبغي إهدارها أو إنكارها أو إبطالها.

❖ كانوا يحتكمون إلى العقل في كثير من المسائل النحوية والظواهر اللغوية ومن مظاهر تأثرهم بالعقل والمنطق وصف اللغة بأنها مثل العدالة والحكمة والانسجام والقرب والبعد، فشبهوا الظواهر اللغوية بالظواهر المادية[2].

❖ من نتائج تحكيم القياس عند البصريين أنّهم تجرؤوا على تخطئة العرب.

❖ وظهرت هذه النزعة عند عيسى بن عمرو الثقفي.

❖ يلاحظ على المذهب البصري أنه قد كثر فيه تأويل نصوص اللّغة وصيغها التي لا تتفق مع القواعد النحوية التي توصلوا إليها[3].

---

(1)- عبد الحسن محمّد/ رشيد عبد الرحمان العبيدي/ طارق بن عون الجنابي: تأريخ العربية(د- ط)، دار الكتب للنشر،بغداد، ص15.

(2)- عبد الله بن محمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي، ص 212 .

(3)- المرجع نفسه ص213.

3-2-5- منهج مدرسة الكوفة النحوية:

لقد كان للكوفة منهج من خلاله سارت عليه في تقعيد المادة النحوّية، وكان في غالب الأحيان مناقضا لمنهج البصرة، ومن أهم الخصائص التي يتمتّع بها ما يلي:

احترامهم للمسموع عن العرب:

لقد تأثر الكوفيون بعلوم الرواية التي نضجت آنذاك، لهذا اشتهر المذهب الكوفي عند الباحثين، بأّنه مذهب سماع، فقد اتّسعوا فيه وأخذوا بجميع لغات العرب سواء كانوا من البادية أو الحاضرة سواء أكانوا منعزلين أم مخالطين لغيرهم من الأمم. إذ قال السيوطي: "إنّ الكوفيين إذا سمعوا لفظا في كلام نادر جعلوه بابا"[1]. لقد مّر قولهم في الكسائي: " إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن، وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل لذلك أصلا "[2]. ومما يدل على عنايتهم للسماع، واحترامهم له، ما ذكره أبو البركات في كتابه" الإنصاف" فقد بّين" أّنهم قد اعتمدوا على السماع وحده في تسع وعشرين مسألة"[3].لهذا نجد " أّنهم يقتدون بالشواهد حجّة ودليلا على ما يقولون، فما فتىء النّحاة الكوفيون يعللّون كما يعلل البصريون"[4]. أما ما يدل على أنّ الكوفيين قد قبلوا كلّ مسموع.... أخذوا عن أهل الحضر ممن جاور المتحضرين من الأعراب، فلم يبالغوا في التحري والتنقيب حتى قيل: أّنهم افسدوا النحو بأخذهم عمن فسدت لغتهم، وفي هذا يقول الرياشي البصري: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع وهؤلاء- يعني أهل الكوفة- أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ(*)وأكلة الشواريز(*)" .ويقول أبو زيد عن الكسائي زعيم الكوفيين:" ثم سار إلى بغداد فلقي أعراب الحليمات(*) فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحف، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة"[5].ولم تكن الرواية عند الكوفيين مقيدة بشروط، كما عرفنا

(1)- السّيوطي: همع الهوامع وجمع الجوامع، ج1، ص 45.

(2)- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النّحوي، ص232.

(3)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، مقدمة الكتاب

(4)- عبد الحسن محّمد، رشيد عبد الرحمان العبيدي، طارق بن عون الجنابي، تاريخ العربية، ص14.

(*)- الكواميخ: جمع كامخ، نوع من الإدام.

(*)- الشواريز: جمع شيراز، اللّبن الثخين.

(*)-قوم من زعانف العرب الذين اختّل لسانهم.

(5)- ابراهيم عبود السامرّائي: المفيد في المدارس النّحوية، ص 30.

ذلك عند البصريين الذين كانوا ثقات في الأخذ، في حين أنّ الكوفيين "اعتمدوا شعر الأعراب من غير أولى الفصاحة، كما عولوا على الشاذ والضرورات، بل قعدوا على الشعر المنحول الذي كان يضيفه الّرواة أمثال حماد الرواية وخلف الأحمر.

التوسع في القياس:

لقد عني الكوفيون بالقياس، كما عني البصريون، لكنهم يختلفون عنهم في التطبيق " فالبصريون لا يقيسون إلاّ على الشائع الكثير الناتج من استقراء جزئيات كثيرة من الشواهد للوصول إلى قواعد كلّية ضابطة، وأما الكوفيون فقد توسعوا فيه وأخذوا به"[1]. كان الكوفيون يقيسون على القليل والنادر، والمفاريد قياسهم على الكثير، "وهم لا يتحرجون أن يكسروا القاعدة أو يوسعوا دائرتها فهم لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلا، وبوبوا عليه بخلاف البصريين"[2]، حيث نجدهم قد توسعوا في القياس "إذ أصاغوا لكل مسموع من الشاذ والخطأ واللحن وقاسوا عليه فعثرت به عجلة الرأي، ولم يدققوا تدقيق البصريين، بل قنعوا بالشاهد ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين"[3]. فقد قال الكسائي: إّنما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع.

فالكوفيون لم يشترطوا للقياس كثرة كاثرة بل قاسوا على الشاهد الواحد ولو جاء مخالفا للكثرة المتفق على القياس عليها، "فما أّوله البصريون أو اعتبروه شاذا، أو ضرورة قبله الكوفيون وجعلوه مقيسا عليه، ولذلك كثرت الأقيسة والقواعد عند الكوفيين، فاشتهر البصريون بأّنهم أهل سماع، والكوفيون أهل قياس، وأّن البصريين والكوفيين جميعا يقيسون، غير أّن الكوفيين أوسع قياسا، لعل هذا اقرب إلى الحق والصواب"[4]. أّما عن موقفهم من القراءات القرآنية فكانوا يشهدون بها، وينزلونها مكانا علّيا في الدرس النحوي.

---

(1)- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطّور الدرس الّنحوي، ص233.

(2)- عبد الحسن محّمد، رشيد عبد الرحمان العبيدي، طارق بن عون الجنابي: تأريخ العربية، صَ13.

(3)- صالح رّواي: النحو العربي نشأته، تطّوره، رجاله ، ص434.

(4)- إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية، ص32.

3-3- مظاهر الخلاف بين المدرستين وأشهر المؤلفات:

3-3-1- مظاهر الخلاف بين المدرستين:

هناك أمثلة عديدة تّوضح لنا مظهر الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة منها:[1]

- اشترط البصريون لعمل الوصف الإعتماد على نفي أو استفهام لفظا وتقديرا ولما جاء على خلاف هذا قول حاتم الطائي:

خير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت

أّوله بأّن"خير" خبر مقدم وهو وصف يستوي فيه الأفراد وعدمه وجعلوا (بنو لهب) مبتدأ مؤخر لا فاعلا فهو على حدّ قوله تعالى:﴿ والملائكة بعد ذلك طهير﴾**[سورة الطلاق- الآية4]**.

- أما الكوفيون فلم يشترطوا هذا، ولذا صحّ عندهم فاعلية (بنو لهب) بالوصف"خير" مع كونه غير معتمد.

أوجب البصريون تذكير الفعل مع جمع المذكر السالم، وتأنيثه مع الجمع المؤنث السالم، وجوز الكوفيون التذكير والتأنيث، ولما جاء قوله تعالى:

﴿ آمنت به بنو إسرائيل﴾**[سورة يونس الآية 90]**على خلاف ما قال البصريون وكذا قول عبيدة بن الطيبة(ت،25هـ):

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والظاعنون إلى ثم تصعدوا

لجأ البصريون إلى التأويل فقالوا: إنّ الجمعين لم يسلم فيها بناء الواحد فأشبها جمع التكسير، ولّما أجاز الكوفيون هذا لم يحتاجوا إلى التأويل.

- منع البصريون كتابة الظرف والجار والمجرور مع وجود المفعول به. ولما جاء في القرآن الكريم وفي الشعر ذلك أّوله قال تعالى:﴿ ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ **[سورة الجاثية الآية 14]**.

وقال جرير:

ولو ولدت فقيرة جرو كلب سبّ بذلك الجرو والكلابا.

إذ قال البصريون إنّ النائب في الآية ضمير الجزاء والبيت ضرورة، أما الكوفيون فلم يؤولوا ذلك لقبولهم إّياه.

(1)- إبراهيم عبود السامرائي: المفيد في المدارس النحوية ص(39-40).

❖ اشترط البصريون في التمييز وجوب التنكير ولما جاء قول رشيد بن شهاب السكري:

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس يا قيس بن عمرو

قالوا: إنه ضرورة. أمّا الكوفيون فقد قبلوه لتجويزهم مجيء التميز معرفة.

❖ اشترط البصريون في المؤكد أن يكون معرفة ولما ورد توكيد النكرة في قول عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي:

لكنّه شاقة أن قيل ذا رجب يا ليت عدّة حول كلّه رجب.

أنكروا هذه الرواية وقالوا أنّ الرواية الصحيحة:حولي وعلى فرض صحة هذه الرواية فالبيت ضرورة.

أمّا الكوفيون، فقد قبلوه، لأنّهم جوزوا تأكيد النكرة إذا كانت محددة كما هي.

❖ منع البصريون إظهار(أن) بعد(كي) ولّما اعترض عليهم يقول الشاعر:

أردت لكيها أن تطير بقريتي فتركها شنّا ببيداء بلقع.

قالوا: إنّ قائله غير معروف أو ضرورة، أمّا الكوفيون فقبلوه.

3-3-2- أشهر المؤلفات التي رصدت الخلاف النحوي بين المدرستين:

يعتبر الخلاف بين البصرة والكوفة من الخلافات التي أدّت في بعض الأحيان إلى نوع التقعيد الإعرابي والتمثل فيه بقصد إبراز كل من الشخصيتين للمدرستين بصفات منفردة مع أنّه من المفروض أنّ كلتيهما تصدران من نبع واحد. وهو كلام العرب المنتقى الفصيح، ولقد كان لهذا الخلاف أثر كبير في كثرة المؤلفات التي كتبت في هذا النوع من المواضيع منها:[1].

❖ اختلاف النحويين لثعلب(ت،291ه).

❖ ما اختلف فيه البصريون والكوفيون لابن كيسان(ت299ه).

(*)- لمعرفة المزيد عن المسائل النّحوية المختلف فيها بين البصرة والكوفة ينظر" الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري.

(1)- عبد العزيز علي مطلك الدّيمي: الدراسات النّحوية واللغوية في البحر المحيط،(رسالة دكتوراه) سنة 1992، ص224.

- ❖ لمقنع في اختلاف فيه البصريين والكوفيين لابن جعفر النحاس(ت338ه).
- ❖ اختلاف النحويين لابن فارس(ت 295ه).
- ❖ الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري(ت577ه).
- ❖ مسائل الخلاف في النحو لابن فارس الغرناطي(ت597ه).
- ❖ التنين عن مذاهب النحويين البصريين الكوفيين للعبكري(ت616ه).
- ❖ مسائل خلافية في النحو للعبكري(ت616).
- ❖ ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة عبد الطيف بن أبي بكر الترجي(ت802ه).

ويبقى كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري أشمل هذه المصنفات.

الفصل الثاني:

المناظرة اللغوية: المفهوم،النشأة والآثار

1- نشأة المناظرة، تعريفها وأنواعها.
2- آداب المناظرة ومكانها وطبيعة الموضوع المطروح فيها.
3- آثار المناظرة وأهدافها.

- نشأة المناظرة، تعريفها وأنواعها:

إنّ أدبنا العربي زاخر بجملة من المحاورات أو بالأحرى من المناظرات التي سجلت تاريخ العربية، إذا كانت في ظاهر الأمر منافسة شرسة بين طرفين أو أكثر، إلا أنها في حقيقة الأمر تنم عن أفكار ونقاشات ساخنة، والتي كانت متنوعة لغوية، أو أدبية أو تعليمية.....الخ وهذا بفضل طبيعة العصر وما فيه من مجالس وتشجيع الخلفاء والأمراء لهم بدون أن ننسى مساهمة الحاضرين في ذلك. وعلى مرّ العصور أصبحت تلك المناظرات فنّا له شروطه وقواعده وأصوله، والتي بموجبها ارتقى هذا الفن إلى مصاف العلميّة لكن قبل ذلك نعرّج على التعريف بهذا الفن لغويا واصطلاحا.

1-1- نشأة فن المناظرة:

من المعروف أنّ الشيء لا يولد مكتملا أو من العدم، بل يمرّ بعدة مراحل، إذ ينصبغ بخصائص كل مرحلة، وهذا ما تلمسناه في فنّ المناظرة بدء بالعصر الجاهلي مرورا بصدر الإسلام والأموي وصولا إلى العّباسي.

1-1-1 في العصر الجاهلي:

لم يعرف العرب" المناظرة" بهذا المفهوم، لأنّ العقل العربي لم يرق إلى مستوى المناقشات المنطقية الفلسفية، وكانت معظم خصوماتهم على الماء والكلأ والسّيادة، وكانت الحروب هي الطريق للحلّ، والشيء الذي عرّف في ذلك الوقت- القريب من المناظرة- هو المنافرة، ومع ذلك نجد بعض المناظرات التي كانت بين أهل الدّيانات، وبين النصّارة والمشركين، وبين الحنفاء والمشركين ومع أنّها بعيدة عن المناقشات الفلسفية.

1-1-2- في صدر الإسلام:

1- **القرآن الكريم:** لقد كان القرآن الكريم منطلقا للمناظرة ففي كثير من الآيات دعا إلى استعمال العقل كقوله تعالى:﴿ لعلكم تعقلون﴾ **[سورة الحديد الآية 17]** .إضافة إلى أنّ القرآن قد حوى الكثير من المناظرات كمناظرات الأنبياء مع قومهم، ففي سورة الشعراء بين موسى وفرعون، وبين إبراهيم وأبيه، وبين مريم وقومها.

2-**السنّة:** لقد كان الرّسول(ص) يناظر المشركين حول عبادة الأوثان، وجادلهم باللّسان فأعجزهم، فعمدوا إلى الاستهزاء والسخرية، وقد روى" ابن هشام" في

سيرته كثيرا من المناظرات التي كانت بين الرسول(ص) والمشركين، وبينه وبين النصارة اليهود، وقد كان يعتمد القرآن الكريم لإثبات الحجّة.

3- **في عهد الخلفاء الراشدين:** عقب انتقال الرّسول (ص) إلى الرفيق الأعلى، حدثت مناظرة في سقيفة بني سعد حول الخلافة، ولكّنها انتهت بسرعة في جلسة واحدة وبتفاهم لأنّ هدفهم كان وحدة المسلمين وقد صار الحقّ إلى أهله.

ومن أهم المحاور التي تناولها الجدل في عصر الخلفاء الراشدين:

- الجدل في الإمامة
- الجدل في أصول العقيدة
- الجدل في الفروع

1-1-3- في العصر الأموي:

يتميز العصر الأموي بتفاعل الصراع بين الطوائف والأحزاب والفرق الكلامية، وتهّيأت للمناظرة عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ساعدت على ازدهارها وتضافرت على نموّها وأثرت على اتجاهها، ومن أّهم العوامل التي ساعدت على ازدهارها الصراع السّياسي، وما نجم عنه من أحزاب، وفرق، ومن عصبيات أذكت أفكارها، وكثيرا ما يقع بينهم مناظرات وازدهرت أكثر عند ظهور الفرق الكلامية وخاصة المعتزلة في نهاية القرن الأّول للهجري، ناهيك عن مناظرات أخرى مثل مناظرة"المقدسي والحريري" إذ يدور موضوعها حول العلاقة بين الّدين والفلسفة وهو موضوع من أهم المواضيع الحساسة التي كانت تشغل مفكري العصر[1].

1-1-4- في العصر العباسي:

تنوعت الثقافات، واختلفت الأجناس، واستقرت الدولة، كان لهذا كلّه إثراء للمناظرة، فقد واصلت ازدهارها وبخاصة على يدّ المعتزلة الذين ناظروا أعداء الّدين، واشتغلوا بالمناظرة، يقول شوقي ضيف:" كما ازدهرت المناظرات وخاصة في بيئة المعتزلة إذ كانوا يكثرون من حوار زعماء الفرق والنحل في المساجد ومجالس البرامكة ومجالس المأمون، مثيرين مالا يحصى من دقائق المعاني وخلفيات الأّدلة، وبلغ من إتقانهم للجدل وقدرتهم على الإقناع وإفحام الخصوم أن نقدوا كثيرا بقصد إظهار المهارة

(1)- حسين الصّديق: المناظرة في الأدب العربي والإسلامي ص225.

الجدلية إلى تقبيح الأشياء المستحسنة وتحسين الأشياء المستقبحة"[1]. حتى جاء" عهد الرّشيد" فمنع الجدال في الدّين وأودع المتكلمين السجون، إلاّ أنّه تراجع، بعدما رأى أثرهم في مناهضة الخصوم.

ولما تولى" المأمون" الخلافة اقتنع بفكرة" خلق القرآن" التي دعت إليها المعتزلة " وقد كان العلماء يتناظرون حول هذه المسألة بين يدّيه، وامتحن في " خلق القرآن" كثير من العلماء"[2]، وفي عهده تأثرت المناظرة بالفلسفة والمنطق حتى أضحى عصر المأمون أزهى العصور في مجال ترجمة العلوم على وجه العموم والفلسفة على وجه الخصوص" وظلّ تشجيع حركة الترجمة والنقل إلى العربية حتى بلغت أوجها إبان خلافة المأمون"[3]. وهكذا ظلت المعتزلة تتبوأ هذه المنزلة حتى جاء عهد" المتوكل" الذّي اضطهد المنشغلين بالمنطق وأصحاب الرأي، لكن هذا لا يعني أنّ المناظرة قد توقفت، بل توقف تأييد الخليفة لها.

إضافة إلى أنواع المناظرات التي عرفت من قبل، ظهرت في هذا العصر مناظرات" اخترعت على ألسنة المتناظرين، وأبرزها مناظرة" الكلب والدّيك" وبين" النظام ومعبد" وقد أوردها" الجاحظ" في كتاب"الحيوان" في الجزأين الأوّل والثاني"[4]. وهكذا قد بلغت المناظرات النحوية أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري على يد النحويين"المبرد البصري" و"ثعلب الكوفي".

وخلاصة القول أنّ الإسلام لم يقف أمام التفكير الإنساني، بل حثّ الإنسان على ضرورة التفكير وإعمال العقل، إلاّ أنّها في عهد الخلفاء نجدهم يبتعدون عن المناقشات الفلسفية، وذلك يرجع إلى تقبلهم الدعوة الإسلامية بدون جدال، بعد أن قام الدليل بصدق النبوّة. وبعد وفاة النبي (ص) بدأ الخلاف يدّب في صفوف المسلمين، وحصلت الرّدّة، والتنازع في الإمامة نتج عن ذلك فرق كلامية وأحزاب سياسية، وبدأت

(1)- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ط7، دار المعارف، مصر،(د- ت)، ص 571.

(2)- ينظر :أحمد بن حنبل،أبو زهرة: مقدمة في تاريخ الجدل، (د- ط)، دار الفكر العربي، بيروت،(د-ت) ص58

(3)- عزيز نضمي سالم: تاريخ المنطق عند العرب،(د- ط)، مؤسسة شباب الجامعة 1983، ص214

(4)- أحمد أمين: المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع،(د- ط)، دار النمر للطباعة، القاهرة،1984،ص(31-32).

المناظرات في مسائل محدودة ما لبثت أن توسّعت، وما إن قامت الدولة الأموية حتى ازدهرت المناظرة بسبب الأحداث السياسية وتدوين اللغة العربية، وبعد قيام الدولة العباسية تجمعت ثقافات مختلفة، وكانت المناظرات من أهم الفنون النثرية، وقد يكون للتراث الفلسفي اليوناني والمنطق الأرسطوطاليسي أثرا في طرائف الجدل والحوار التي اتخذها أصحاب الفرق الكلامية والتي كانت لها اثر في المناظرات النحوي.

1-2- تعريف المناظرة:

1-2-1- التعريف اللغوي لكلمة المناظرة:

لقد نال التعريف اللغوي للمناظرة نصيب أوفر في المعاجم العربية مثل" الصحاح" للجوهري، وإحصاء العلوم"للفارابي"، وكتاب "التعريفات" للجرجاني، وأساس البلاغة"للزمخشري"،إلاّ أنّ "ابن منظور" في معجمه"لسان العرب" يقترب أكثر من الدلالة العامّة لهذا المصطلح، إذ يقول:" المناظرة:أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما إليه معا كيف تأتيانه....والتناظر التراوض في الأمر ونظيرك الذي يراوضك وتناظره....ويقال: ناظرت فلان أي صرت نظيرا له في المخاطبة[1]. أمّا في معجم" الوسيط" فإنه يعرّفه على النحو التالي:"....وناظر فلان: أي صار نظيرا له، وباحثه وباراه في المحاجة، تناظر القوم في الأمر: تجادلوا وتراوضوا والمناظرة: المجادل"[2]. من هنا أصبحت المناظرة تتضح أكثر فأكثر في الأذهان إلى أن صارت فنّا له شروطه.

وفي علم الصّوف العربي نجد أنّ "صيغة "ناظر" (فاعل) تعين وجود شخصين يشتركان معا في أداء عمل واحد في الوقت نفسه، كما تعني أيضا المنافسة بين هذين الخصمين، فالفعل"سابق" مثلا يعني اشتراك شخصين في الفعل نفسه، وفي الوقت ذاته. كما يعني أيضا التنافس بين هذين الشخصين، وكذلك الفعل"ناظر" يساوي"فاعل" يعني أنّ شخصين ينظر أحدهما إلى الآخر في وقت واحد، وإذا أضفنا حرفا على الفعل"ناظر" ليصبح "تناظر" فان الفعل بالإضافة إلى المعاني السابقة يدل على وقوف

---

(1)- ابن منظور: لسان العرب:مادة"نظر".

(2)- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة"نظر"

شخصين واحد أمام الآخر"[1]. من هنا يبدو أنّ المناظرة لا تخرج عن وجود شخصين على الأقل.

1-2-2- التعريف الاصطلاحي:

المناظرة كما يعرفها طاش كبرى زاده:" هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب"[2] .وهناك تعريف آخر لا يختلف كثيرا عنه، وهو الذي ورد في كتاب" اصطلاحات الفنون" للتهانوي يقول:" هي علم يعرف به كيفية إثبات المطلوب ونفيه، أو نفي دليله مع الخصم"[3] . فالملاحظ عليه أنّ المناظرة تقوم على إثبات جيّد للدليل، حتى يظهر قويّا في نظر خصمه.

1-2-3- بين الحوار والمناظرة:

في طريف بحثنا عن تعريف "المناظرة" اصطدمنا بمصطلح "الحوار" الذي يتداخل معه في بعض الخصائص والميزات، إذ أضحى التمييز بينهما صعبا. ولإزالة ذلك اللّبس نقف عند حدود هذا المصطلح.

الحوار في اللغة:

إنّ الحوار في المعاجم العربية هو" الجواب"،والاسم "المحاورة" وتعني المجاوبة والتحاور والتجاوب، حاوره محاورة، فحوارا أي جاوبه وجادله".

وفي التنزيل العزيز قوله تعالى:﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره﴾**[سورة الكهف الآية 34]** وقد وردت مرّة أخرى كلمة "الحوار" في القرآن الكريم :﴿والله يسمع تحاوركما﴾**[سورة المجادلة الآية1]**، وقد ورد في لسان العرب **"**لابن منظور" قوله:" فهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة"[4]. مما سبق نستنتج أنّ الحوار كذلك لا يخرج عن وجود شخصين على الأقل، يسعى كل منهما إلى فرض رأيه على الآخر.

(1)- حسين الصّديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 2000، ص58.

(2)- عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زاده: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تح: حايف انبهان، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت، ص26.

(3)- حسين الصّديق: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص60.

(4)- ابن منظور: لسان العرب :مادة"حور"

الحوار في الاصطلاح:

أما الحوار مصطلحا وفنا:" فهو ضرب من الخطابة، يدور بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح"[1]. فهو يعتمد أساسا على ظهور أصوات أو صوتين على أقل تقدير لأشخاص مختلفين، وهذا ما يجعل الكلام ينسجم بطريقة تثير الاهتمام والإعجاب.

إذا فالحوار على هذا النحو تعبير فكري وفّني معا وأداة من أدوات التعبير يلجأ إليها الأديب للتعبير عن فكرته بطريقة(مباشرة) مثيرة. ففن الحوار" هو صورة طبق الأصل لفن المناظرة والمفاخرة التي ازدهرت في العصر الجاهلي الذي كان أساسه العصبية القبلية، لكن سرعان ما اتجه نحو الركود إبان العصر الإسلامي بسبب ثبوت العقيدة الدينية ورسوخها بين الناس وانحصاره في الخلافات السياسية التي كانت قائمة آنذاك"[2]، لكن في العصور اللاحقة بدء بالعصر الأموي الذي نشط فيه هذا الفن(الحوار - المناظرة) وأشهرها: مناظرات جرير والفرزدق.

وهناك من اللّغويين من يعرّف فنّ الحوار والمناظرة تعريفا واحدا فيقول:" أّنه قالب فّني عام، تتغير أنواع مصانيفه ويعدّ من الأجناس الأدبية الثانوية التي تّق فيصعب تحديد معالمها، وتمييز مواطن التلاقي التاريخية فيها بين الآداب"[3].ونظرا للتداخل الوثيق بين فن"الحوار" و"المناظرة"،فإن الأّول يتفق مع الثاني في كونه ضربا من الخطابة بين شخصين أو أكثر، إلاّ أّنه يختلف معها لأن المناظرة يقصد بها شرح وجهتي نظر مختلفتين، أو عرض صورتين أدبيتين متضادتين أحدهما بجانب الأخرى بما في ذلك استخدام الدليل والبرهان حتى يتم إبطال حجة الخصم"[4] بالإضافة إلى ما سبق، هناك مصطلح آخر يتداخل مع المناظرة والحوار هو" الجدال" لذلك أصرّ علماء اللغة على التفريق بينهما في الدلالة،" فالجدال هو اللّدّ والخصومة في أي صورة من صورها فالمجادلة في"علم المناظرة" هي:" المناظرة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام

(1)- محمد عبيد الحمزاوي: فن الحوار والمناطرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث ط1، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 2001، ص4.

(2)- المرجع نفسه ص4.

(3)- المرجع نفسه ص4.

(4)- المرجع نفسه ص5.

الخصم"[1]. على الرغم من التداخل الكبير بين الحوار والمناظرة والجدال إلا أّنه تبقى" المناظرة" الوحيدة التي حظيت بنصيب أوفر، خاصة في العصرين الأموي والعباسي، إذ سجلت لنا كتب التاريخ أشهر تلك المناظرات التي دارت بين البصرة والكوفة، ومن أبرزها" المسألة الزنبورّية" والتي نلخصها كما يلي:

حين قدم "سبويه" على البرامكة فجمع بينها "يحي بن خالد البرمكي" رغم علمه بالخلاف الحاد الذي كان قائما بينهما في المجال العلمي. يصل "سبويه" المجلس قبل "الكسائي"، فيسأل من قبل "الأسمر" يجيب فيخطئه، ثم يسأل من قبل"الفّراء" فيجيب ويخطئه الفّراء أيضا. وكأن الكوفيين تعمدوا إهانة " سبويه" الذي غضب من الأمر، وقرر انتظار الكسائي، وعند وصوله تبدأ المناظرة بين زعيمي المدرستين(البصرية والكوفية)، بادر الكسائي بالسؤال:" كيف تقول كنت أظنّ أن العقرب أشّد لسعة من ؟ فإذا هو إّياها، فقال سبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب فخطأه الكسائي".

1-3- أنواع المناظرات:

لقد كانت "إيران" ملتقى الحضارات القديمة على مّر الأزمان والعصور، وما وصل إلينا من هذا التراث من تماثيل ونقوش ونقود ونصوص تؤكد على نضج هذه الحضارة وازدهارها بشكل واضح، لكن بفعل الترجمة انتقلت محاورات أفلاطون ومحاكمة سقراط إلى حضارة إيران عن طريق الفلاسفة الذين لجئوا إليها لهذا فقد كان انتقال هذه المحاورات قد هّيأ بعض أسباب نهضة فن الحوار والمناظرة لدى الفرس قبل الإسلام. ومن جملة المناظرات التي ازدهرت في هذا العصر كانت جلّها أدبية وأخرى تعليمية.

1-3-1- المناظرات الأدبية:

إننا نعثر في الأدب الفارسي على الكثير من المناظرات سواء أكانت شعرا أم نثرا ولعل مردّ ذلك رعاية الأمراء والسلاطين فقد كان كلّ منهم يحرص على أن يجمع في بلاطه أكبر عدد من الشعراء والكتّاب ليغدق عليهم فيما بعد بالأموال والهدايا، وكان يتحتّم على الشعراء مقابل ذلك مدح هؤلاء الأمراء والحكماء، ومن خلال مناظراتهم نجدهم يلجؤون في آخر المطاف إلى نشدان هدفهم الأصلي وهو مدح الممدوح."

(1)- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: مادة "جدل".

وقد أجاد الشاعر "عنصرى" في مناظراته التي نظّمها على لسان "الغراب والصقر" ومن المرجح أنه أول من استخدم المناظرات في قالب المدح" إذ يقول[1]:

بين غراب أسود وصقر أبيض سمعت من حكيم حكاية جميلة

قال الغراب لصقر أنا وأنت صديقان فكلانا من الطير جنسنا وأصلنا واحد

فقال الصقر كلانا طير لكن في الفضل هناك اختلاف بيني وبينك في الطبع

من خلال هذه الأبيات اكتشفنا أن الصقر قد انتصر على الغراب لاعتبارات عدّة، كونه يسكن قصور الملوك، وأن لونه الأبيض سرّ السعادة، ومصدر الراحة للناس وأنه عنوان للخير، بينما الغراب لا يعيش إلاّ على الجّيف والقاذورات، وأن مأواه الخربة والقبور، أما عنوانه فهو المنكر، ومما يآخذ عليه أيضا لونه الأسود الذي يعبر عن مصدر الحزن والشقاء للناس، وفي الأخير يؤكد الصقر بكلّ فخر أنه لا مجال للمقارنة بينه وبين هذا الغراب الأسود، ولكنه يقول إذا حصلت تحت أيّ من الظروف فستكون كمن يقارن الفضل والإحسان بالصنوبر و العرعار. وبهذا يكون النصر للصقر على حساب الغراب الذي فضّل الصمت وعدم مجاراته لحجج خصمه.

أما في أدبنا العربي فقد شهد في مختلف عصوره خلافات عدّة مما أدى إلى نشوء حروب قبلية، فكان لهذا أثر في الدرس الأدبي، إذ أضحى الشاعر اللسان الناطق للقبيلة، فكان معها في السّراء والضرّاء، وكانت تلك المفاخرات القبلية ما لبثت أن تبلورت في العصر الأموي في شكل جديد بين شاعر وآخر بعد أن كانت بين قبيلة وأخرى، والتي اصطلح عليها "النقائض الشعرية" وأشهر من يمثلها الثالوث الأموي: جرير، الفرزدق، الأخطل.

يقول جرير في رثاء زوجته(أم حزرة):[2]

لولا الحياء لاعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولّهت قلبي إذ علّتني كبرة وذور التمائم من بنيك صغار

كانت مكرمة العشير ولم يكن يخشى عوائل أم حرزة جار

---

(1)- محمد عبيد الحمزاوي: فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي ص(30-31).

(2)- محمد عزام: النص الغائب(تجليات التناقض في الشعر العربي)، (د- ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص91.

فيأتي الفرزدق ويكذب دعاوي الشاعر الأوّل فيقلبها لصالحه ومناقضتها ومن ذلك قوله:[1]

كانت منافقة الحياة وموتها خزي علانية عليك وعار.

فلئن بكيت على الأتان لقد بكى جزعا غداة فراقها الأعيار.

تبكي على امرأة وعندك مثلها قسعاء ليس لها عليك خمار.

إذا من خلال الدراسات المختلفة لفن الحوار والمناظرة الأدبية وجدنا أنّ معظمها غالبا ما تنتهي دون رجحان كفّة على الأخرى، فيعقد الصلح في حين يفترض أن يكون هناك طرف منتصر وآخر مهزوم.

1-3-2- المناظرات التعليمية:

لقد كثر النظم في هذا اللون من المناظرات إذ نجد أنّ الهدف منها كان التعليم والوعظ والإرشاد واتخاذ العبر والدروس المستفادة لأنّ فنّ الحوار والمناظرة من الفنون الشعرية المهمّة التي يستطيع فيها الشاعر أن ينقل المعلومات والآراء والأفكار والنصائح بأسلوب ممتع وشّق حتى تتحقق الفائدة المرجوة.

ومن أمثلة ذلك تلك التي وردت عن "جلال الدين الرومي" وهي تدور بين نحويّ وربان سفينة على النحو الآتي:[2]

جلس نحويّ في سفينة فالتفت إلى ربّانها بغرور وتكبّر

قال:هل قرأت شيئا في النحو قال:لا فقال له: لقد ضاع نصف عمرك

فتألم الرّبان وأصبح مكسور الخاطر لكّنه في لحظة صمته عن الجواب

ألقت الرّياح بالسفينة إلى الخطر فقال الربّان لذلك النحوي المتكبر

قل لي: هل تعرف شيئا عن السباحة؟ فقال: كلاّ فلا تحدثني عن السباحة

فقال له: لقد ضاع كلّ عمرك ذلك لأن السفينة ستغرق في الإعصار

إذا من هنا يبدوا لنا أنّ المناظرة لكي تكون حيوية وذات حركية يجب على الطرفيين الإلمام قدر المستطاع بشتى المعارف.

---

(1)- محمد عزام: النص الغائب(تجليات التناقض في الشعر العربي)، ص91.

(2)- محمد عبيد الحمزاوي: فنّ الحوار والمناظرة في الأدبين العربي والفارسي ص40.

2- آداب المناظرة ومكانها وطبيعة الموضوع المطروح فيها:

2-1- آداب المناظرة:

للمناظرة جملة من الشروط والآداب التي ينبغي أن يتخلّق بها كلّ مناظر والتي فصّلها" الإمام أبو حامد الغزالي "إذ يراها ضرورية قبل وأثناء الخوض في المناظرة، خصوصا ما يتصل بالأحوال القلبية والعملية للمناظر في ذاته، وذلك حرصا منه على أن لا يكون هذا السلوك التناظري مدخلا لفساد البناء التربوي للفرد نذكر منها على سبيل المثال:[1]

- ❖ المناظرة يجب أن تدور بين شخصين على الأقل.
- ❖ أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر أو استحقاره له.
- ❖أن يمهّل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته، كي لا يفسد عليه توارد أفكاره، وحتى يفهم مراده من كلامه كي لا يقوّله ما لم يقل.
- ❖ أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلاّ المضّادة، لأنّ من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الاقتناع بالحجّة.
- ❖ أن تكون الحاجة إلى المناظرة فعلية، وليست مجرد هوى نفسي أو ميل ذاتي، وأن لا يوجد من الأعمال ما هو أرجح منها، وأولى بالعناية حتى لا تصير مجرّد ترف وزخرف لا ينبني عليه عمل يستفاد منه.
- ❖ أن يكون المناظر مجتهدا رأيه وليس مقلدا لمذهب مخصوص من المذاهب، يرى الحق إلاّ فيه، وبالتالي يتعين فيه أن لا يتحرّج من مخالفة مذهبه إن تبين له أنّ الحق في غيره[2] .
- ❖ أن تكون المناظرة في الأمور الواقعة أو قريبة الوقوع وأن لا يخوض المناظر في البطولات التي تجلب الشهرة ولا يرجى نفع من ورائها، ويترك القضايا الحيوية التي تهم الناس غالبا.

(1)- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص74.

(2)- رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة(من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار)، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2010، ص88.

- ❖ أن لا يهمّه إن أهر الحق على يده أم على يد مناظره، وأن يرى في هذا المناظر معينا مرافقا لا خصما مشافقا، وأن يحرص على أن تسود بينهما المودّة والعرفان بدل الخصومة.
- ❖ تجنب المناظرة للمناظرة لأن ذلك يؤدي إلى الجدل والشغب اللذين يفقدان المناظرة اتزانها ويحرفانها عن هدفها الذي هو الوصول إلى الصواب.

على حين نجد أن "طاش كبرى زادة" قد لخّصها في كتابه "رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة" إذ يقول:"أما آداب المناظرة فهي أنه ينبغي للمناظر أن يحترز عن الإيجاز، وعن الإطناب، وعن استعمال الألفاظ الغريبة، وعن اللفظ المجمل، ولا بأس بالاستفسار، وعن الدخل قبل الفهم، ولا بأس بالإعادة، وعن التعّرض لما لا دخل له في المقصود، وعن الضحك ورفع الصوت وأمثالهما، وعن المناظرة مع أهل المهابة والاحترام، وأن لا يحسب الخصم حقيرا"[1]. إذا فقد كانت هذه جملة الآداب التي أرشدت الطرفين إلى فن التناظر الصحيح.

2-2- مكان المناظرة وطبيعة الموضوع المطروح فيها:

إنّ المناظرات لم يكن لها مكان محدّد، إذ كانت تجري في كلّ مكان وأشهر هذه الأماكن قصور الخلفاء كقصور خلفاء بني العباس والمهدي وهارون الرّشيد والأمين والمأمون، وفي قصور الولاة والوزراء وحتى القضاة وقادة الجيش وذلك بأمر من الخليفة أو غيره، وقد تكون في بيت أحد المتناظرين كالتي كانت في بيت "عيسى بن عمرو"، كما أنّها قد تكون في الأماكن العامة حيث يقف المتناظر ومعه أصحابه، كما يقو شوقي ضيف:" وكان الناس يجتمعون من حول أصحاب هذه الصّور في الحلقات إذ يقف فيها المتناظر ومعه أصحابه فيعلن رأيه ويدعمه بكل دليل ويقدم خصمه بين أنصاره فيحاول أن يحكم له كل دليل قدّمه، وأن يثبت رأيه هو بما يجمع له من براهين"[2]. هذا فيما يخص المكان، فالأمر نفسه ينطبق على الزمن- زمن المناظرة- إذ لا يوجد وقت معين فقد كانت تجري في كل وقت وكان بعضهم يحدد موعدا، وهناك من يتربص بزميله في أخطاء ليثأر لنفسه، وربما كان وقت هذه المناظرات ليلا

(1)- طاش كبرى زاده: رسالة الآآب في علم آداب البحث والمناظرة. ص 27.

(2)- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي،ط7، دار المعارض، مصر،(د- ت)، ص409.

للمسامرة خاصة عند الخلفاء من باب الترف الفكري، يقول" أحمد أمين":" فرأيناهم يتناظرون في المساجد وفي حلقات الدرس وفي المنازل، وحين اجتماعهم للحج، ويرحلون فيتناظرون ويلتقون اتفاقا فيتجادلون، وملئت الكتب بهذه المناظرات والمجادلات"[1]. إذن فالمناظرة ليس لها مكان محدد تجري فيه، لكن بشرط أن تستوفي كلّ شروطها، منها ما يتعلق بالمعارض والمعارض وكيفية إقامة الحجّة....

3- آثار المناظرة وأهدافها:

3-1- آثار المناظرة:

إنّ الطابع العام الذي امتازت به المناظرة كونها تدور بين شخصين أو أكثر، وبحكم طبيعة المكان الذي تمارس فيه، هذا ما ولّد عدّة آثار سواء كان ذلك على مستوى الدرس النحوي أو على مستوى التأليف.

3-1-1- أثرها في الدرس النحوي:

على الرغم من أنّ المناظرات ليست كلها تهدف إلى تأييد رأي أو هدم حجة، فقد تأتي لإظهار المقدرة ومع ذلك فإنّها قد أدّت غرضا علميا كان لها أثر في الدرس النحوي نذكر منها:

- ❖ تعميق المفهوم المذهبي بين أنصار المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية.
- ❖ نقد بعض القواعد النحوية، والتي كان لها أثر في تقعيد النحو وتأصيل قواعده.
- ❖ هذا النقد أدى التوصل إلى إقرار الحقائق العلمية التي كانت تتبناه إحدى المدرستين من قبل رجال المدرسة الأخرى.
- ❖ إبراز مكانة العلماء وسعة مخزونهم اللغوي، وبسطهم في الرواية، وقوة الملاحظة ودقتها، وفي اختيار السؤال الملائم و الجواب الدقيق" فقد دلت تلك المناظرات على قوة الملاحظة ودقتها في اختيار السؤال الموفّق وانتزاع الجواب الدقيق"[2]. وتستخبر النصوص لما يوافق أرائهم، ومع ذلك لا نستطيع أن نقول برفع مكانة عالم عن آخر قياسا على تلك المناظرات، فلظروف المناظرة قيمتها في هذا.

(1)- أحمد أمين: ضحى الإسلام:ط1، دار الكتاب العربي، بيروت(لبنان)،(د- ت)، ج2، ص168.

(2)- رواية اللغة: عبد الحميد الشلقاني،(د- ط)، دار المعارف، مصر،1979. ص204.

❖ تمثل كثير من الشواهد وخاصة الشعرية منها في المناظرة، وقد كان لها أثر كبير في إثراء الدرس النحوي بالشواهد.

❖ المناظرة النحوية أعطت دراسة النحو في بغداد أهمية كبرى، وبخاصة خلال فترة امتزاج الثقافات من فارسية، وهندية، ويونانية.....فكانت أداة المناظرة بمقدار ما أخذ من تلك الثقافات.

إذا لقد كان هذا تأثير المناظرة في الدرس النحوي عموما، والدرس النحوي البصري والكوفي، خصوصا، فالمدرسة البصرية قد واجهت عن طريق المناظرة هذا الانفصال بقوة الحجة والمعارضة الفلسفية، محاولة منها على إبقاء نفوذ النحو البصري، فنجد المبرد مثلا يدافع عن آراء مدرسته وكأنه نصب نفسه الحارس الأمين لهذه الآراء" فكانت المكابرة عند الكوفيين في مقابل المجادلة القائمة على قوة المعارضة، وفلسفة الكلام عند البصريين"[1]. أما عند الكوفيين: فقد استطاع "الكسائي" مستغلا قربه من الحكام في بغداد، ومتخذا المناظرة وسيلة لذلك، أن يكون جبهة كوفية قوية وقفت أمام الجبهة البصرية الّند للّند، وهذا ما جعل كثير من الباحثين من يدونه المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية.

لقد خصّت المناظرة المذهب الكوفي في إيجاد أنصار له أعطته الديمومة والاستمرار، وذلك من خلال المؤلفات التي عنت بتسجيل هذه المناظرات.

تثبيت الخطط العامة للمذهب الكوفي، وبخاصة جهود "الكسائي" والفرّاء وثعلب وهذا الأخير استطاع أن يمثل آراء شيوخه، وبخاصة "الفرّاء" من خلال مناظراته، وأن يكّمل ما وصل إليه النحو الكوفي.

وخلاصة القول أن المناظرات النحوية استطاعت أن تثري الدرس اللغوي وذلك بغرض القضايا النحوية، التي كانت محل الخصومة بين المدرستين وشرح آرائهم، وفي أثناء ذلك يقومون بتصحيح نحوي أو صوتي للآثار المروية عن طريق الحوار، ولا يخص ما للحوار من حيوية وحركة تجعله أقدر على الإقناع أو إظهار العجز أو على اجتذاب السامعين وإثارة الإعجاب.

---

(1)- عبد الحسين المبارك: المناظرات اللغوية بين الجدّية والأفعال، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، مطبعة النعمان، بغداد،العدد2، 1974،ص253.

3-1-2- أثرها في التأليف:

لقد أسالت جملة المناظرات كثير من الحبر، وكان لها أثر واضح على الكتب المؤلفة بحيث طبعتها بطابع المناظرة، فقد كان الواحد منهم يؤلف كتابا حول موضوع معين فيكتب خصمه كتابا يرّد عليه فيه على ما جاء في الكتاب الأّول وينقضه ونجد ذلك حتى في عناوينها يقول شوقي ضيف" وحتى الكتب المؤلفة فنجد عليها مسحة من المناظرة والجدل واضحة على عناوينها إذ كثر ما يعنون بكلمة الرد أو كلمة النقص....وكأنما كانت المناظرات لغة العصر فكانت في كل مكان، وفي كل موضوع علمي أو فلسفي أو أدبي"[1].

لذلك نجد من تلك الكتب من استدرك على الخليل في كتابه "العين" منهم:

- ❖ "أبو طالب المفضل بن سلمة" الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب "العين" من الغلط والمحال والتصحيف"[2].
- ❖ "أبو عبد الله محمد بن عبد
- ❖ الله بن محمد الكرماني" كتاب ما أغفله الخليل في كتاب "العين"، وما ذكره مهمل وهو معتمد مستعمل وما هو مستعمل وقد أهمل"[3].

لكن بالمقابل قد انتصر له جماعة من العلماء منهم:

1- "أبو الهيذام(الهنذام)" كتاب الّرد على المفضل في نقضة على الخليل"[4].

2- "ابن درستويه" كتاب الّرد على ما نقل كتاب العين عن الخليل"[5].

كما نجد أيضا:" كتاب الّرد على ثعلب في اختلاف النحويين"[6].

ونجد أنّ ثعلبا قد ألّف كتاب" اختلاف النحويين" فّرد عليه:

- "ابن كسيان في كتاب" المسائل على مذهب النحويين فيما اختلف فيه البصريين والكوفيون".

---

(1)- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، ط9، دار المعارف، مصر،(د-ط)،ص539.

(2)- ابن النديم: الفهرست، ص332.

(3)- ابن النديم: الفهرست، ص203.

(4)- المصدر نفسه ص347.

(5)- المصدر نفسه ص286.

(6)- المصدر نفسه ص205.

- أبو "جعفر النّحاس" في كتاب المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين".
- ابن "درستويه" في كتاب:الرد على ثعلب في اختلاف النحويين".

لكن هناك من العلماء من تناول هذه القضايا على الاختيار والتوسط من ذلك مثلا:

- الأنباري"الإنصاف في مسائل الخلاف"
- أبو البقاء العبكري" مسائل خلافية في النحو".

وعليه إضافة إلى ما سبق فإن المناظرات أثرت في حركة التأليف فوجدنا الخلافات النحوية التي أثيرت خلال المناظرات قد دخلت مجال التأليف النحوي، وأثرت بها المكتبة النحوية، وقد حفظت في ثنايا بعض الكتب منها كتاب" مجلس العلماء"للزجاجي. واحتلّت جزء من كتاب" الأشباه والنظائر" للسيوطي، إضافة إلى تلك المناظرات المتناثرة في بطون كتب" طبقات النحويين"، كتب التراجم" وكتب الخلاف".

وهكذا أثرت المناظرة حركة التأليف النحوي، وهذا دليل على إحساس العلماء مبكرا على مدى أهمية المناظرة في الدرس النحوي.

2-3- هدف المناظرة:

إنّ الهدف الرئيسي الذي تصبوا إليه المناظرة هو إظهار الحقيقة الموضوعية، وليس الحقيقة النسبية التي يعتقد كل من الخصمين امتلاكها، وللوصول إليها" يتوجب على الخصمين معا العمل على تجنب الجدل وعدم اللجوء إلى السبل غير الصحيحة لإدحاض حجج الخصم وبراهينه، وإظهار خطئها، كما يقتضي عدم إهمال الدفاع عن الحقيقة بعد الكشف عنها أمام هجوم الخصم مهما تكن الأسباب التي قد تدفع إلى هذا، كما يقتضي الوصول إلى الحقيقة بواسطة البصيرة، وهذا لا يتم إلاّ عندما تقوم النفس البشرية بالبحث عن حقيقة المعقولات، ليس عن طريق الحواس التي لا تدرك إلاّ مظاهر الأشياء، وإنّما عن طريق البصيرة التي هي للقلب. بمنزلة البصر للعينين، فقد كان القلب ولا يزال في التراث الإسلامي مركز الإنسان وجوهره، ومصدر الإلهام والإشعاع الإلهيين، لذا فلا يجب الاستسلام إلى المعرفة التي تقوم على البصر الذي قد يخدع، وإنّما يجب أن لا يؤمن إلاّ إلى البصيرة التي لا تخطىء، وهي وحدها القادرة على الكشف عن حقائق الأشياء، لأنها تنظر بنور الله: الحقيقة المطلقة.

الفصل الثالث:

المناظرة النحوية بين النحاة البصريين والكوفيين من خلال كتاب:الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري

1- التعريف بالمؤلف.

2- التعريف بالمؤلف.

3- بعض المسائل النحوية المختلف فيها بين البصرة والكوفة.

لقد حظي موضوع " الخلاف النحوي" بعناية جّيدة من قبل النحويين لذا نجد العديد من المؤلفات التي ترصده، والتي تكشف عن أسبابه وعن أشهر المسائل المختلف فيها. بهذا نجد أنّ هناك من سبق" ابن الأنباري" إلى ذلك أمثال: ثعلب في " اختلاف النحويين" وابن كسيان في " ما اختلف فيه البصريون والكوفيون"....الخ. لكن، رغم سبق هؤلاء إلى هذا التأليف يبقى" ابن الأنباري" الوحيد الذي فصّل في موضوع الخلاف. وذلك من خلال كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف " الذي يعتبر بحق المرجع الأكبر والأوسع في هذا الموضوع. لكن قبل أن نّق الباب في " المسائل النحوية" التي عرضها" ابن الأنباري" في كتابه" الإنصاف في مسائل الخلاف"، ارتأينا أن نتعّرف على هذا الرجل العظيم، وعن كتابه القّيم الذي أضحى مرجعا هاما في دراسة النحو العربي.

1- التعريف ب "ابن الأنباري":

إنّ سيرة هذا الرجل عظيمة جدا " فهو أبو البركات كمال الّدين عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي سعيد الأنباري" [1] . هذا ما جعل بعض المؤرخين ينسبون إلى الأنبار(*)؛ فحيلته تمتّد على جزء كبير من القرن السادس الهجري، ولقد فتح هذا العالم الكبير عينه على الدنيا، في الوقت الذي كانت حرب شديدة تدور بين اثنين من سلاطين السلاجقة(*) هما"سنجر" وابن أخيه" محمود"، كما شهد هذا العام الذي ولد فيه"ابن النباري" - 513هـ- حدثا خطيرا في تاريخ العراق وهو " انفصال سلاجقة العراق عن سلاجقة بلاد فارس"[2]. وفي مدارس هؤلاء السلاجقة تعلّم" ابن الأنباري" وعلّم فيها أيضا ومنها " المدرسة النظامية" وأما عن كنيته فإنه يكنى ب" أبي البركات، أو الكمال، أو كمال الدين"[3]. ولعل هذه الكنية جاءته من اعتقاد تلاميذه والمقربين منه

(1)- ابن الأنباري :في مسائل الخلاف، تح: جودة مبروك محّمد مبروك ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002،ص8.

(*)- الأنبار: مدينة بالعراق على نهر الفرات في غرب بغداد، تتميز بكثرة النخيل والزرع الجّيدة والثمار الحسنة

(*)- السلاجقة: احدى شعائر التركمان الغّر التي كانت تعيش في بلاد التركستان، خلف نهر سيحون، ثم انتقلوا إلى "جند" على طرف سيحون ثم إلى بخارى ثم عبروا النهر إلى خراسان ثم زحفوا إلى بغداد بعد أن سيطروا على الأقاليم وأقاموا لهم دولة في بلاد فارس.

(2)- جميل إبراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو،بيروت، رسالة دكتوراه 1977- ص4.

(3) - المرجع نفسه ص53.

بأنه مبارك، وأنّ من لازمه ضمن النجاح، وأما عن لقبه فقد يكون تعبيرا عما كان يتمتّع به من كرم الخلق واستقامة المسلك والنزوع إلى الكمال في أعماله وتصرفاته.

وبالنسبة لمكان وزمان ولادته فقد اتفق المؤرخون على أن تاريخ ولادته هو513هـ، غير أنهم يختلفون في تحديد الشهر فقيل" ولد في ربيع الأول من سنة 513هـ"[1] فهذه حجّة ضعيفة لأن كتب التراجم والطبقات تثبت عكس هذا " ولد في ربيع الثاني من سنة 513هـ"[2] ، ومهما يكن فإنّ هذا الاختلاف ليس بالأمر العسير لأنّ وفاة العالم أشهر من ولادته فهو عند ولادته مجهول مغمور، ولكنّه عند وفاته معروف مشهور، ولذلك نجد أصحاب الطبقات والتراجم أقدر على تحديد يوم الوفاة منهم على تحديد يوم الولادة.

هذا فيما يخص الزّمن، فإن الأمر ينطبق على المكان، لذا قيل" أنه ولد في الأنبار التي ينتسب إليها، أو إلى بغداد، فيقال: كمال الدين أبو البركات الأنباري البغدادي"[2]. و مما لا شك فيه أن " لابن الأنباري" صلة وثيقة بكل من هذين البلدين (الأنبار - بغداد) وإلاّ لما نسب إلى كلّ منهما.

وعن ثقافته نقول أن مؤلّفنا قد حظي بثقافة واسعة أولا لأنّ العصر الذي عاش فيه- القرن السادس- كان عصر معرفة وازدهار في شتى العلوم، وثانيا وجود المدارس العليا التي حملت عبء تدريس التخصصات المختلفة، كما لا ننسى فضل أبيه الذي لقّنه العلوم الأولى وحسب ما تذكره المصادر أن " ابن الأنباري" "غادر الأنبار وهو لا يزال صبيا متجها صوب بغداد لينتظم هناك بإحدى قلاع العلم وهي "المدرسة النظامية" أين التقى بثلاثة من علماء عصره هم: ابن الرزاز، ابن الشجري والجواليقي"[4]. فكانت هذه الرحلة إثباتا لرغبة والده. الذي كان حريصا على تنشئة ابنه تنشئة علمية صحيحة وتمكينه من تحقيق ما عجز هو عنه.

---

(1)- جميل ابراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو،بيروت ص 54.

(2)- ابن الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولّمع الأدلة، تح: سعيد الأفغاني(د- ط)، مطبعة الجامعة السورية،1957،ص5.

(3)- جميل إبراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو ص(53-54).

(4)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص(8-9).

وأما عن سيرته وأخلاقه، فإنّ لهذا الرجل مزايا حميدة وأخلاق رشيدة طفت على كل صفاته الأخرى، فلقد ترك الّدنيا لعشاقها والطامعين فيها والكبّ على طلب العلم والفضيلة ومجاهدة النفس فقد " كان عالما زاهدا، وعابدا مخلصا تاركا للدنيا"[1]. فكان هذا الانزواء والزهد في الحيا ة ما جعل سيرته تنفذ من الحركة والتشويق ما يغري بالتّتبع وبالتالي كان قليل الأسفار والرحلات وقليل التردّد على ساحات الملوك، ولا التقّرب منهم، فقد عاش بعيدا عن أضواء قصور السلاطين والملوك.

لقد قال فيه أحد الشعراء بيته المشهور:

وإّنما رجل الدنيا و واحدها من لا يعوّل في الدنيا على رجل.

وعن المذهب الذي اعتنقه فقد كان " الشافعي" فقد عمل على نصرة هذا المذهب بجدّ وإخلاص، فصنّف المؤلفات الجليلة في خدمته منها" هداية الذاهب في معرفة المذاهب" و" وبداية الهداية"[2]، وكان رغم انتسابه إلى هذا المذهب فقد كان متسامحا متّسع الأفق، ويشهد على ذلك علاقته الطّيبة والمتينة بشيخه"ابن الشجري".

لكن بعد ذلك أصبح شيئا فشيئا يقترب من المذهب الصوفي كلّما تقّدمت به السن، ولجملة من الأسباب منعت اعتناقه في شبابه، ومع مرور الزمن أخذ يجالس أصحاب الصوفية ويشاركهم في مسلكهم في مواجهة أمور الحياة.

وفيما يخصّ شيوخه وتلاميذه فإنّ المصادر التي ترجمت "لابن الأنباري" أنّ أباه كان أّول أولئك. وآخرون منهم " أبو نصر أحمد بن نظام الملك، أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محّمد بن الخضر الجواليقي...إلخ"[3]. بالإضافة إلى آخرين، كلّهم ساهموا في تكوين ثقافته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وعن تلامذته، فقد كانت مصادره مصدر عظمة لهم، لاقتحامها مختلف العلوم. والتي قصدها أهل زمانه، يطلبون منه العلم حتى صار تلاميذه هم أيضا علماء. منهمّمحمد بن موسى بن عثمان بن حازم الملقّب بالحازمي، ومحّمد بن سعيد بن يحي أبو عبد الله الواسطي، عبد الغفّار بن محمد بن عبد الواحد

---

(1)- إبراهيم جميل علوش: ابن الأنبا ري وجهوده في النحو: ص60.

(2)- آثار مفقودة لا يعرف عنها شيئا في فهارس المخطوطات إلاّ ما أوردته كتب التراجم والطبقات.

(3)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف:ص15.

أبو سعد الأعلمي، وأبو شجاع محمد بن أحمد بن علي العنبري"[1]. وبهذا يتضح لنا أن علم "ابن الأنباري" تسرّب إلينا عن طريق تلاميذه في الأجيال التالية. وقد ساعد على هذا التسرّب والانتشار ما ترك صاحبنا من المتون والشروح في شتى فروع المعرفة خاصة في علم النّحو.

وفي مجال التأليف نال حظّه عند"ابن الأنباري"، فقد كانت مؤلفاته كالمصّب العظيم الذي تلقى فيه شتى الروافد لما تشتمل عليه من آراء وأفكار تمثل مختلف الاتجاهات والمدارس النحوية التي كانت سائدة في عصره، منها:[*]

- ❖ آثاره المخطوطة: أدلّة النحو والأصول، الجوهرة في نسب النهي وأصحابه العشرة، عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء، فرائد الفوائد، الوجيز في التصريف.
- ❖ الآثار اللغوية: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، حلية العقود في المقصور والممدود، اللّمعة في صناعة الشعر، الموجز في علم القوافي، زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء.
- ❖ الآثار التاريخية: نزهة الألباء.
- ❖ الآثار النحوية: وهي كانت خير مصدر ومعولة في دراسة هذا الرجل والإطلاع على فكره النحوي وتحديد جهوده ومساهمته في هذا الميدان منها:

- أسرار العربية، الإغراب في جدل الإعراب، البيان في غريب أغراب القرآن، لمع الأدلّة في أصول النحو، كما لا ننسى" الإنصاف في مسائل الخلاف".

وهذه المؤلفات التي ذكرناها هي على سبيل المثال لا الحصر، إلاّ أنها تبقى صورة حقيقية لمختلف التيارات التي تعرّض لها النحو في تلك الفترة، وتبقى مصادر هامة في الدراسة اللغوية عامّة والنحوية خاصّة لما تمتاز به من نسبة الرأي إلى صاحبها، والحرص على إثبات مواقف مشاهير النحاة من المسألة الواحدة.

---

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: ص16.

(*)- ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: ص26

وزيادة على كلّ هذا فإنّ صاحبنا قد حذق الشعر، وأصبح عنده نصيب مثل: النحو، الدين واللغة، فها هو ذا يقول أجمل أبياته في فضل العلم:[1]

العلم أوفى حلية ولباس والعقل أوفى جنّة الأكياس.
كن طالبا للعلم تحي وإنّما جهل الفتى كالموت في الأرماس.
وصن العلوم عن المطامع كلها لترى بأنّ العزّ عزّ الباس.
والعلم ثوب والعفاف طرازه ومطامع الإنسان كالأدناس.
والعلم نور يهتدي بضيائه وبه يسود الناس فوق الناس.

وله شعر في التصوّف:

دع فؤادي من ذكر دعد وهند وبكائي مغن العقيق ونجد.

ويقول في الزهد:

تدرّع بجلباب القناعة والياس وصنه عن الأطماع فيي أكرم الناس.
وكن راضيا بالله تحيا منّعما وتنجو من الضرّاء والبؤس والباس.

كانت هذه مقتطفات من شعر"ابن الأنباري" ا لتي تفيض حكمة وتأمّلا في فضل العلم، ومنزلة أصحابه. لهذا يقول عزّ وجلّ:﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ **[سورة فاطر الآية28]** .

وبعد هذا العمر الطويل الحافل بصنوف النشاط العلمي والديني لقي " ابن الأنباري" وجه ربّه راضيا مطمئنا لما أسلف في الحياة الدنيا من جميل الفعال وصالح الأعمال زهدا وورعا وبرّا وتقوى، فكانت وفاته على أرجح الأقوال" ليلة الجمعة التاسع من شعبان من سنة 577ه ببغداد عن عمر يناهز أربع وستين سنة، وقد دفن يوم الجمعة بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي"[2]، فرغم وفاته، إلاّ أنه يبقى حاضرا في كلّ زمان ومكان بفضل العلم الزاخر والقيّم الذي تركه لنا ويعتزّ به أدبيا.

2- التعريف بالمؤلّف" الإنصاف في مسائل الخلاف":

لقد كان الصراع بين" البصرة والكوفة" أحد مقّومات النحو العربي. إذ رصدته مؤلفات شتى، حاولت أن تقف على المسائل المختلف فيها. و أنّ تقدّم حجج كل من

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف.ص13.

(2)- المرجع نفسه ص18.

الفريقين، لكن من بين كل المؤلفات التي تحدثت عن هذا الصراع أو ما يعرف بالخلاف النحوي. نجد كتاب حاول صاحبه من خلاله أن يحقق الإنصاف أوالنصرة خلافا على من سبقه إنّه كتاب" الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري والذي سوف يكون مناط حديثنا الآن.

من المعروف أنّ أيّ شيء يتكون من شكل ومضمون إذ لا يمكن أن ندرس أحدهما بمعزل عن الآخر لأنّهما يمثلان بكل بساطة مكانة وقيمة لذاك الشيء. بهذا فإنّ كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف" بدءا بالغلاف الخارجي(الأمامي والخلفي). يوجد عنوان الكتاب، ومؤلّفه، ومحققه، وكذلك دار النشر على النحو التالي: الإنصاف في مسائل الخلاف- لأبي البركات بن الأنباري، ت 588ه، تحقيق ودراسة: الدكتور جودت مبروك محمّد مبروك. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ثم نجد أنّ هذه المعلومات تتكرر في الصفحة الأمامية للكتاب مع إضافة الطبعة والسنة وهي: الطبعة الأولى 2002. أمّا عن الصفحة الخلفية فإنها تبدو فارغة تماما". وهذا ما نلاحظه على جلّ الكتب القديمة على العكس من المؤلفات الحديثة خاصة وأنّها في الصفحة الخلفية تورد مقتبسا لحياة المؤلّف، أو ذكر بعض من أعماله أو بعبارة مختصرة" السيرة الذاتية".

أمّا طبيعة هذا الكتاب فإنّه مجلّد ذو لون آجوري يتوسطه بعض الأسود والأبيض، يقع في حوالي 730 صفحة وأوراقه بيضاء وهذا يدلّ على حداثة الطبعة(2002). أمّا عن فصوله أو أقسامه فإنّه يحتوي على قسمين: الأوّل للدراسة والثاني للتحقيق تبعا لمحقق هذا الكتاب" جودت مبروك محمّد مبروك".

ملاحظة: بما أنّ النسخة الأصلية لهذا الكتاب، وهي في حقيقة الأمر مخطوط فإنّنا سوف نعتمد في دراستنا هذه على الكتب التي قامت بتحقيقه لهذا اخترنا المحقق" جودت مبروك محمّد مبروك" لأنّه بكل بساطة تحدث عن " ابن الأنباري" بإسهاب خاصة عن حياته، مكانته العلمية، مؤلّفاته....إلخ.

إذا الكتاب يتكون من قسمين: الأوّل للدراسة: أي الحديث عن صاحب الكتاب(حياته، مولده، نشأته، مكانته العلمية، شيوخه، وفاته)[*].

(*)- سبق التعريف " بابن الأنباري" .

ثم نتحدث عن مصادر"ابن الأنباري" في كتاب الإنصاف، ثم عن منهجه إذ قال عنه بأّنه منهج خاص في عرض المسائل، فلم يؤلف أحد من سابقيه وفق منهجه، فقد ابتكره ابتكارا إذ "قام في البداية بعرض آراء كلّ من البصريين والكوفيين في المسألة والتي تقع في 121 مسألة حسب رأيه. ولم يرد أن يورد كل مسائل الخلاف، وقد زعم السيوطي أنّ"ابن إياز" في كتابه " الإسعاف في مسائل الخلاف" استدرك على ابن الأنباري مسألتين هما:

- الإعراب أصل في الأسماء، فرع في الأفعال.
- جواز حذف نون التثنية لغير الإضافة.

وبعد عرضه- ابن الأنباري- للمسائل، بفضل آراء كل من الفريقين مع الّرد لآراء المدرسة التي لا يتبنى رأيها قائلا في المقدمة " وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصّب والإسراف"[1]. لكّنه من خلال عرض للمسائل وجدناه يميل إلى المذهب البصري، ولم يوافق المذهب الكوفي إلاّ في سبعة مسائل فقط.

وعليه فإنّ منهجه ككل في المسائل يسير في مراحل وهي:

- ❖ يبدأ مسألته بقوله: "ذهب الكوفيون إلى أن، ثم يذكر أهل البصرة بقوله: وذهب البصريون إلى أن.....".
- ❖ يذكر حجج الكوفيين بقوله: "أما الكوفيون فاحتّجوا بأّن قالوا....."وإذا أراد تفصيل الحجج يذكر آراء النحاة وعللهم يقول:" ومنهم من تمسّك بأن قال...".
- ❖ يذكر حجج البصريين بقوله:" أما البصريون فاحتّجوا بأن قالوا وكذلك قد يميل إلى زيادة تفصيل فيقول: ومنهم من تمسّك بأن قال....".
- ❖ الجواب عن المذهب الذي لا يرى صوابا، وكان الغالب مذهب الكوفيين. فيقول:"أما الجواب عن كلمات الكوفيين..." وفي كثير من مسائل الكتاب كان هناك مجال لآراء فردية، نحز ما نجده في المسألة الثانية، فبعد أن ذكر مذهب البصرة والكوفة في إعراب الأسماء الستّة يأخذ في ذكر بعض آراء

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص29.

النحاة كالأخفش، وعلي بن عيسى الربعّي، وأبي عثمان المازني وما حكي عن العرب، ثم يسلك طريقه ومنهجه المعتاد. وقبل أن يجيب عن الكوفة أو البصرة يجيب على تلك الآراء الفردية.

- ❖ كان إذا وافق الكوفة في بعض المسائل يكتفي بذكر " والذي أذهب إليه في هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون" وإذا لم يوافقها فإّنه يقول "أصلكم، قولكم"، أّما البصرة فإّنه يستخدم" ما ذكرتموه" للتعبير عنهما.
- ❖ هذا بالنسبة للمنهج، أّما عن موقفه واستشهاده بالقراءات القرآنية فإّنه كان يوثقها وينسبها إلى أصحابها. نحو قوله " وقرأ ابن عامر أحد القّرار السبعة ﴿وكذلك زّين لكثير من المشركين قتل أولاهم شركائهم﴾ **[سورة الأنعام: الآية 137]** ينصب أولادهم، وجّر شركائهم.
- ❖قام بإحصاء القّراء للآية الواحدة مهما كثروا، فهو متّبع لمبدأ الدقة البالغة.
- ❖ وأّما عن استشهاده بالحديث النبوي، فقد كان حاضرا، إذ استشهد بنحو سبعة أحاديث وكان يشير إليها بقوله: " وجاء في الحديث"، وقال" صلى الله عليه وسلم"،وأّما الحديث...، وغير ذلك بما يدلّ على كونها أحاديث شريفة.
- ❖ وأّما عن استشهاده بالشعر فإّنه كان أكثر الاستشهاد بشعر الطبقات الثلاث الأولى(طبقة الجاهلين، طبقة المنضرمين، طبقة الإسلاميين). وبلغت شواهده الشعرية ما يزيد عن الخمسمائة، وكان يكرر الشاهد في مواضع متفرقة من الكتاب، سواء أن كان في المسألة الواحدة أو في المسائل المتفرقة، فأورد شواهد لإمرئ القيس وزهير والنابغة، والأعشى، والكميت والمرقش الأصغر، وذي الّرمة وعروة بن الورد...إلخ.وكان يصرّح باسم الشاعر في الغالب خاصة حينما لا يكون هناك شك نسبة الشعر إليه.
- ❖ لا يعتد كثيرا بالأشعار المجهولة النسب ويضّعف الاستشهاد بها.
- ❖ يكثر من ذكر روايات البيت الواحد، إن وجدت له روايات وكان هذا في سيق الأدلة والردود على الكوفيين.
- ❖ يرفض الشاهد الشاذ.

❖ وأّما عن استشهاده بالأمثال وكلام العرب، فإّنها كانت سبعة أمثال العرب، فكان يؤول ويرجّحه بالشعر والشواهد الأخرى.

هذا فيما يخص القسم الأّول، أّما القسم الثاني فكان للتحقيق. إذ تحدث فيه المحقق:"جودت مبروك" عن عمله في تحقيق هذا الكتاب إذ يقول أّنه:[1]

❖ اعتمد على جمع المخطوطات العربية لهذا الكتاب والمقارنة بينها.

❖ توثيق الآيات القرآنية، وذلك بذكر رقم السورة، ورقم الآية.

❖ اللجوء إلى كتب القراءات القرآنية لتخريج القراءات ونسبتها إن أمكن إلى أصحابها.

❖ تخريج الشواهد النحوية بذكر البحر الشعري واسم الشاعر والرجوع إلى مجموعة من المصادر الأصلية والمطولات النحوية التي جاء فيها البيت.

❖ ذكر الروايات المختلفة للشاهد الشعري.

❖ توثيق المسألة الخلافية وذلك بالرجوع إلى مطّولات النحو العربي والإشارة إليها.

❖ ذكر ما لم يذكره " ابن الأنباري" في بداية المسألة عن حقيقة الخلافات النحوية ومدى مطابقتها للواقع النحوي.

❖ وضع علامات الترقيم المناسبة بما يوافق ما أراده المؤلف.

❖ وضع الفهارس المختلفة للكتاب: نحو فهرس القرآن، الحديث، الأمثال والأعلام، الشعر، المراجع والموضوعات.

لهذا فإّن ما قام به المحقق من وفير الجهد، وكبير العناء. يبقى متقنا وغاية في الّدقة، وإحكام في الطرح.

لقد أورد المحقق" جودت مبروك محّمد مبروك" الطبقات التي حظي بها كتاب" الإنصاف" إذ كان مدار اهتمام العرب والمستشرقين، وهذا الاهتمام إّنما نابع من قيمة الكتاب العلمية وتأثيره الكبير في التاريخ النحوي نذكر منها[2]:

❖ قسم طبع في وثانا سنة 1878 باعتناء "جارونيه".

(1)- ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص20.

(2)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص51.

طبعة بعناية المشرف "قابل"، والذي نشره مع تقدمة بالألمانية في برلين 1913، إذ اشتمل تقديمه على الحديث عن مدرسة البصرة والكوفة وعن أشهر نحوييها ومنهجها في النّحو واللغة والموازنة بين المنهجين وتطّور المدرستين[*].

- ❖ طبع بعناية الشيخ "محمّد محي الدين بن عبد الحميد" بالقاهرة 1953.

بالإضافة إلى هذا هناك طبعات أخرى لم يذكرها المحقق "منها:[1]

- ❖ قسم طبع باعتناء"جرقاس" بالروسية سنة 1873.
- ❖ وقسم آخر طبع باعتناء "جرقاس"و"روسن" في بطرسبرج عام 1878.

إلى جانب الطبعات التي ذكرها المحقق، تعدّت أيضا عن المخطوطات الثلاثة لهذا الكتاب، والتي اعتمدها في بحثه هذا:[2]

- ❖ مخطوطة "الأسكوريال تان" بالقاهرة بالرقم 219.
- ❖ مخطوطة مكتبة الزاوية الحمزاوية بالمغرب بالرقم 220.
- ❖ مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق بالرقم 1749.

كما توجد مخطوطات أخرى لهذا الكتاب لم يذكرها المحقق منها:[3]

- ❖ نسخة ليدن بهولندا بالرقم 169.
- ❖ نسخة بني جامع بالرقم 1060.
- ❖ نسخة مكتبة دمشق العمومية بالرقم 76.

فرغم إختلاف الطبعات أو المخطوطات التي ذكرناها سابقا في إدراج النص الأصلي إلاّ أنّها استطاعت أن تحفظ لنا كتابا قّيما في النحو . والمثير للدهشة أنّ المكتبات غير العربية أي الأجنبية احتفظت لنفسها بواحدة من هذه المخطوطات التي تعدّ من الأشياء النفسية والتي لا زالت إلى يومنا هذا تتربع مكان مرموقا خاصة بالمكتبة الوطنية بباريس.

(*)- وقد ترجم هذه الدراسة عن الألمانية الدكتور: حسين مجيب المصري عام 1968.

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. ص51.

(2)- جميل ابراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو: ص115.

(3)- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي:تر: عبد الحليم النّجار، د.ط، جامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة1977.ج5 ص171.

بالإضافة إلى هذه الطبعات قام "المحقق" بادراج النسخة الأصلية للكتاب، وهي كما كتبها "ابن الأنباري" ثم أردفها بمقدمته- أي مقدمة ابن الأنباري" –" التي ندّت فيها عن أسباب وضعه هذا الكتاب. وذلك استجابة لطلب بعض الفقهاء والأدباء المشتغلين بعلم العربية بالمدرسة النظامية(*). المتمثل في كتاب يشمل مشاهير المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ليكون أوّل كتاب صنّف في علم العربية على هذا الترتيب وألّف على هذا الأسلوب لأنّه ترتيب لم يصنّف عليه أحد من السّلف، ولا ألّف عليه أحد من الخلف"(1). إذا من خلال هذه المقدمة يبدوا أنّه غاية "ابن الأنباري" كانت في أسسها تقوية العلاقة بين النحو والفقه، وتوسيع مجالات الالتقاء والاتصال بين العلمين.

ثم ذهب إلى عرض المسائل النحوية التي اختلف فيها نحويي البصرة والكوفة والتي تقع في مئة وواحد وعشرين مسألة.

خصائصه:

إذا من خلال المسائل النحوية التي تعرّض إليها " ابن الأنباري" ، ومحاولة الإنصاف بين المدرستين من خلال تأييد أو رفض كل هذا جعل الكتاب يمتاز بجملة من الخصائص منها:

- ❖كتاب جعل من علم النحو موضوعا عقليا بحثا كالفلسفة والمنطق وصيّره حلبة صراع للتصورات الفكرية والنزاعات العقلية والتيارات الثقافية.
- ❖ كتاب يدّل على ما كان يتمتع به صاحبه من ثقافة علمية عميقة " فأساليبه في الاحتجاج تنّم عن ثقافته الفلسفية الواسعة، فالنظر في كلامه يجد عبارات الفلاسفة مصطلحات المنطق، ما يكفي للدلالة على مبلغ إفادته من دراسة الفلسفة الكلامية والمنطق"(2). فهذه الفلسفة والمنطق بقدر ما أفادت الموضوع. إلاّ أنها شكّلت صعوبة في الفهم لدى القارئ، لأنّ كلّ الأمور مجرّدة لو لم يذلّلها بالأمثلة.

(*)- المدرسة النظامية: مدرسة بغداد، وهي رسمية عليا، ذات اختصاصات مختلفة متوارثة، وكان "ابن الأنباري" قد درس، ودرّس فيها.

(1)- ينظر: مقدمة " الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري".

(2)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف.ص117.

❖ كتاب يتّسم بجدّة الأسلوب، لأنّ صاحبه لا يقلّد أحدا، فإذا عرض المسائل المطروحة، ابتكر لها تنسيقا جديدا ونظرة شاملة، ثم وضع تصميم البناء الذي تخيّله ثم صبّه في قالب بديع لا تجد له نظيرا فيما سبق.

3- بعض المسائل المختلف فيها بي البصرة والكوفة:

يعتبر الخلاف بين البصرة والكوفة من الخلافات التي أدّت في بعض الأحيان إلى نوع من التقعيد الإعرابي والتعمّق فيه بقصد إبراز كل من المدرستين بصفات منفردة، مع أنّه من المفروض أنّ كلتيهما تصدران من نبع واحد، فقد كان لهذا الخلاف أثر كبير في كثرة المؤلفات التي كتبت في هذا الموضوع مثل:" اختلاف البصريين والكوفيين" لأبي جعفر النّحاس وسمّاه " المقنع". وهذا بدل على أنّ الفريقين قد بذلا مجهودا كبيرا في بسط حججه، وعرض أدلّته لكي يقنع القارئ بصدق رأيه وصحّة نظريته. بالإضافة إلى كتاب آخر سجّل حضورا قويّا في الساحة النحوية، كتاب بلّل عنوانه على مدى الخصومة الشديدة بين الفريقين، حتى أنّهما يحتاجان إلى قاض ينصفهما. فالأمر إذا انتقل من الواقع اللغوي وأصبحنا وكأنّنا في ساحة القضاء وكلّ من الخصمين يريد الدفاع عن نفسه بالحجج القوية والأدلة المقنعة حتى ينصفه القاضي، وهمّه هو قهر خصمه وإضعاف رأيه ثم الانتصار لنفسه واعتزاز وجهة نظره حتى ولو كان ذلك على حساب اللغة والنحو، وبهذا تعددت الاتجاهات وتضاربت الأقوال وتفرّعت الآراء إنّه كتاب" الإنصاف" لابن الأنباري. ومنه سوف نحاول أن نسلّط الضوء على بعض من مسائله للكشف عن مدى الخصومة بين المدرستين. ولاكتشاف أيضا مدى إنصاف "ابن الأنباري" لهما. وهل حقا وقف كقاض بينهما أم أنّه إنجاز لطرف دون الآخر.

ومن المسائل السّتة، سين الإستقبال محذوفة من سوف، تثنية المقصور، كي، لام كي، لام الجحود، المنادى والخلاف فيه وهي محّل دراستنا في هذا البحث.

3-1- المسألة الأولى: الأصل في اشتقاق الاسم:

تقول الألفية:[1]

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم.

واحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم.

فالكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمع فيه أمران:

اللفظ والإفادة، وأقل ما يتألف منه: اسمين نحو: زيد قائم أو من فعل واسم: قام زيد.... وقس على ذلك. فالنحاة تتبعوا كلام العرب فوجدوه يرد على ست صور إجمالا، وذلك أنّه إمّا أن يتألّف من اسمين أو من فعل واسم. وإمّا من جملتين، وإمّا من فعل واسمين، وأمّا من فعل وثلاثة أسماء، وإمّا من فعل وأربعة أسماء. فالذي يعنينا في كلّ هذا هو" الاسم" فما هو الاسم يا ترى؟.

الاسم: " في اللغة هو ما يعرف به الشيء ويستدّل به عليه، وعند النحاة ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمن"[2] نحو: رجل، فرس، بيت، كتاب...إلخ.

وللاسم عدّة أوزان، وذلك حسب بنيته: ثلاثي، رباعي، خماسي، مجرّد، أو بحسب أنواعه: اسم فاعل، اسم مفعول، مصدر.

وللاسم أيضا علامات يعرف بها: الجرّ، التنوين، النداء، الألف واللام(التعريف)، الإسناد إليه: وذلك لقول ابن مالك:

بالجرّ والتوين والّذا وأل ومسند للاسم تمييز حصل.

أمّا عن اشتقاقه فقد حصل خلاف بين النحويين خاصة البصريين والكوفيين، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّه منشق من الوسم والكوفيين، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّه مشتق من السموّ وهو العلّو.

---

(1)- أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك: ألفية بن مالك في النحو والصرف، ط1، شارع جوهر للدراسة، القاهرة 2007، ص 3.

(2)- راجي الأسمر: المعجم المفصّل في علم الصرف ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1993، ص 80.

حجّة الكوفيين:

قال الكوفيون بأنّ الاسم" مشتق من الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسم على المسّمى، وعلامة له يعرف به"[1]. ألا ترى أننا إذا قلنا: زيد أو عمرو. دلّ على المسّمى، فصار كالوسم عليه، لهذا قالوا إنّه مشتق من الوسم. لذلك قال أبو العباس بن يحي ثعلب: الاسم سمة توضع على الشيء يعرف بها، والأصل في "اسم": وسم إلاّ أنّه حذفت منه الفاء التي هي الواو في "وسم" وزيدت الهمزة في أوّله عوضا عن المحذوف ووزنه: "اعل" لحذف الفاء منه.

حجة البصريين:

قال البصريون بأنّ الاسم" مشتق من السمو لأنّ السمّو في اللغة هو العلّو"[2] يقال : سما، يسمو سمّوا، إذا علا ومنه سميت السماء سماء لعلّوها، والاسم يعلو على المسّمى، ويدّل على ما تحته من المعنى، لذلك قال أبو العباس محمّد بن يزيد المبّرد" الاسم ما دلّ على مسّمى تحته"، وهذا القول كاف في الاشتقاق لا في التحديد، فلّما سما الاسم على مسّمّ اه وعلى ما تحته من معناه دلّ على أنّه مشتق من السمّو لا من الوسم.

تفصيل: إنّ المسألة تدور حول اشتقاق الاسم هل هو من السمّو أم من الوسم؟ قبل ذلك نقول أنّ الاشتقاق في اللغة هو: الاقتطاع يقال:اشتّق هذا من هذا أي اقتطع منه لقول الشاعر:[3]

فشّق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محّمد

أي فقطع له من اسمه اسما، وفي الاصطلاح: ردّ كلمة إلى كلمة أخرى لتناسبها في اللفظ، فالمردود هو المشتق والمردود إليه هو المشتق منه.

وبما أنّ أقسام الكلام ثلاث: اسم وفعل وحرف والتي لها ثلاث مراتب فمنها ما يخبر به، ومنها ما يخبر عنه وهو "الاسم" نحو: محّمد نبيّنا، القرآن كتابنا. وما أشبه ذلك، ومنها ما يخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل نحو" ذهب زيد.." وأشب ذلك. ومنها ما يخبر به، ولا يخبر عنه وهو"الحرف" نحو : من، بل، لم....إلخ.

(1)- فيروز أبادي: القاموس المحيط: (وسم)، ج4، ص186

(2)- المرجع نفسه ص186.

(3)- البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص338

فلما كان الاسم يخبر به ولا يخبر عنه، والفعل يخبر به ولا يخبر عنه والحرف لا يخبر به، ولا يخبر عنه. ومن هنا سما الاسم على الحرف والفعل أي علا فدلّ على أنّه من السمّو والأصل فيه " سمو" على وزن "فعل" فحذفت اللام التي هي الواو وجعلت الهمزة عوضا عنها ووزنه" افع" لحذف اللام منه.

وعلى العموم فإنّ النحويين اتفقوا قاطبة أنّ" الاسم" حذف منه " الواو" واختلفوا في تعيين ملّ تلك الواو المحذوفة على قولين:

القول الأوّل: قول البصريين أنّ محلّ الواو المحذوفة بعد الميم لأنّها لام الكلمة، وهو عندهم من " سما، يسمو" إذا ارتفع كأنّه ارتفع على قسيميه: الفعل والحرف أو سما على مسمّاه فأوضحه، أو سما إليك: أي ظهر من قول امرئ القيس:[1]

سما لك شوق بعدما كان أقصرا وحلّت سليمى بطن قوّ فعرعرا.

لأنّ الاسم يسمو إلى فهم المخاطب وأصله عندهم" يسمو" إمّا بكسر السين" حمل" أو بضّمها "قفل". بدليل جمعه على أفعال وفعل، وفعل يجمعان على أفعال "كأحمال" و"أقفال" فحذفوا الواو اعتباطا، كما حذفوها من "د" "م"، "أ" "ب"، وانتقل الأعراب إلى الميم بعد أن انتقل سكونها إلى السين، فلّما سكنت السين احتيج إلى ألف الوصل فجيء بها مكسورة ومضمومة تنبيها على أنّ أصل السين الكسر والضّم.

ووزن لغات الاسم من جهة اللفظ على مذهب البصريين: أمّا اسم فوزنه"افع" بكسر ألف الوصل وضمّها، وأمّا "سم" فوزنه " فع" بكسر الفاء وضمّها وأمّا "سما "فوزنه " فعل" أصله " سمو" تحرّكت الواو. وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار " سما".

أمّا قول الكوفيين: أنّ محل الواو المحذوفة قبل السين لأنّها فاء الكلمة عندهم وهو من "وتسم يسم". إذا علّم لأنّ الاسم علامة على مسمّاه وأصله"وسم". حذفت الواو تخفيفا كالحذف من "عدّة" "وزنة" ثم جاءوا بألف الوصل لأجل سكون السين، وقال بعض الكوفيين أصله: " وسم" يزنة" فلس" فقلبوه أنّ جعلوا الواو وهي الفاء بعد الميم وهي اللام فصار وزنه" علفا". ثم حذفوا الواو لّما صارت أخيرا اعتباطا، ونقلوا سكون الميم إلى السين فجاءوا بألف الوصل لأجل ذلك.

---

(1)- ديوانه: ص 56.

ووزن اللغات على مذهب الكوفيين من جهة اللفظ " أّما: "اسم" فوزنه"اعل" بكسر الألف وضّمها وأّما "سم" فوزنه"عل" بكسر العين وضّمها، وأّما " سما" فهو عليهم لكون اللام قد ظهرت بعد الميم والميم على أصلهم هي اللام، إلاّ أن يقولوا بالقلب فوزنه عندهم" علف".

رأي ابن الأنباري في المسألة: إنّ ما ذهب إليه الكوفيون يعتبره ابن الأنباري صحيحا من جهة المعنى، إلاّ أّنه فاسد من جهة اللفظ وذلك من أربعة وجوه:

الوجه الأّول:[1]

إن أجمعنا على أنّ الهمزة في أّوله همزة التعويض، التي تقع تعويضا عن حذف اللام، لا عن حذف الفاء، فقولنا: حذف اللام التي هي الواو من"بنو" عّوضوا عنها الهمزة في أّوله فقالوا: "ابن"، ولما حذفوا الواو التي هي الفاء من " وعد" لم يعّوضوا عنها الهمزة في أّوله فلم يقولوا: اعد، وإّنما عوضّوا الهاء في آخره فقالوا: "عدة" لأنّ القياس فيما حذف منه لامه أن يعوض بالهمزة في أّوله، وفيما حذف منه فاؤه أن يعّوض بالهاء في آخره والذي يدّل على صحة ذلك أّنه لا يوجد في كلامهم ما حذف لامه وعّوض بالهاء في آخره. فلما وجد في أّول "اسم" همزة التعويض علمنا أّنه محذوف اللام، لا محذوف الفاء. لأنّ حمله على ما له نظير أولى من حمله على ما ليس له نظير، فدلّ على أّنه مشتق من السمّو لا من الوسم.

الوجه الثاني:[2]

حين نقول" أسميته" لو كان مشتقا من "الوسم" لوجب أن نقول "وسمته"، فلما لم تقل إلاّ "أسميت" دلّ على أّنه من "السمّو" وكان الأصل فيه "أسموت" إلاّ أنّ الواو التي هي اللام لما وقعت رابعة قلبت ياء، كما قالوا: "أعليت وأدعيت " والأصل: "أعلوت وأدعوت"، إلاّ أّنه لما وقعت الواو رابعة قلبت ياء. فكذلك هنا، وإنما وجب أن تقلب الواو ياء رابعة من هذا النحو حملا للماضي على المضارع، والمضارع يجب قلب الواو فيه ياءا نحو:" يعلي، يدعي، يسمي" والأصل فيه:" يعلو، يدعو، يسمو"، وإّنما وجب قلبها ياء في المضارع لوقوعها ساكنة مكسورا ما قبلها لأنّ الواو متى وقعت

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص7.

(2)- المرجع نفسه ص9.

ساكنة مكسورا ما قبلها وجب قلبها ياءا، إلاّ أنّهم قالوا :ميقات،ميعاد،ميزان،و الأصل :"موقات، موعاد، موزان". إلاّ أنّه لّما وقعت الواو ساكنة مكسورا ما قبلها وجب قلبها ياءا، فكذالك هنا ،وإنّما حملوا الماضي على المضارع مراعاة لما بنوا عليه كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة والمحافظة على أن تجري الأبواب على سنن واحد ألا ترى أنّهم حملوا المضارع على الماضي إذا اتّصل به جماعة النسوة نحو":تضربن"وحذفوا الهمزة من أخوات "أكرم"نحو: نكرم، تكرم، يكرم. والأصل فيه:" نؤكرم، تؤكرم، يؤكرم". كما قال الشّاعر:

فإنّه أهلا لأن يؤكرما .

فحملا على"أكرم" وإنّما حذفت إحدى الهمزتين من" أكرم" لأنّ الأصل فيه "أأكرم"فلّما اجتمعت فيه همزتان كرهوا اجتماعهما فحذفوا إحداهما تخفيفا ثّم حملوا سائر أخواتها في الحذف.

الوجه الثالث:[1]

إنّا نقول في تصغير"اسم" "سمى"فلو كان مشتقّا من الوسم لكان يجب أن نقول في تصغيره "وسيم" كما يجب أن نقول في تصغير"زنة، وزينة"وفي تصغير "عدة، وعيدة". فلّما لم يجز أن يقال إلا"سمى" دلّ عليه أنّه مشتق من السمو لا من الوسم، والأصل في "سمّي" هو" سميو" ، إلا أنّه لّما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياءا وجعلوهما ياءا مشّددة كما قالوا: " سيّد، جيّد، ميّت" والأصل فيه: "سيود، جيود، ميوت" لأنّه من "السودد والجودة والموت".

إذا من هنا وجب قلب الواو إلى الياء دون قلب الياء إلى الواو، لأنّ الياء أخفّ من الواو، فلّما وجب قلب أحدهما إلى الآخر كان قلب الأثقل إلى الأخفّ أولى من قلب الأخفّ إلى الأثقل.

الوجه الرابع:[2]

إنّا نقول في تكسير"اسم": "أسماء وأسام؛ ولو كان مشتقّا من "الوسم" لوجب أن نقول: "أوسام وأواسيم". فلّما لم يجز أن يقال إلاّ "أسماء" دلّ أنّه مشتقّ من "السّمو" لا

---

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص10.

(2)- المرجع نفسه ص11.

من "الوسم". والأصل في "أسماء": "أسماو" ، إلا أنّه لّما وقعت الواو طرفا وقبلها ألف زائدة، قلبت همزة كما قالوا:"سماء، كساء، رجاء"، والأصل فيه: "سماو، كساو، رجاو".لقولهم: "سموت، كسوت، رجوت.ومنهم من قال: إنّما قلبت ألفا لأنّ الألف التي قبلها لّما كانت ساكنة خفيّة زائدة، والحرف الساكن حاجز غير حصين لم يعتّوا به ، فقدروا أنّ الفتحة التي قبل الألف قد وليت الواو وهي متحركة، والواو متى تحرّكت وانفتح ما قبلها وجب أن تقلب ألفا ألا ترى أنهم قالوا: "سما، علا، دعا، غزا".والأصل فيها: "سمو، علو، دعو،غزو" لقولهم: "سموت، علوت، دعوت،..." إلاّ أنّه لّما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا. فكذلك الأمر هنا في"أسماو" قلبوا الواو ألفا، فاجتمع فيه ألفان: ألف زائدة، وألف منقلبة عن لام الكلمة، والألفان ساكنان وهما لا يجتمعان فقلبت الألف الثانية المنقلبة عن لام الكلمة همزة لالتقاء الساكنين وإنّما قلبت إلى الهمزة دون غيرها من الحروف لأنّها أقرب الحروف إليها، لأنّ الهمزة هوائية كما أنّ الألف هوائية فلما كانت أقرب الحروف إليها كان قلبها إليها أولى من قلبها إلى غيرها.

2-3- المسألة الثانية:إعراب الأسماء الستّة.

يقول ابن معطي في ألفيته:

وستّة بالواو رفعا إن تضف والياء في الجّر وفي النّصب الألف.

أخ، أب، حم، هن، فوه ذو المال قل، ولا يجوز ذوه.

الأسماء الستّة أو الخمسة:"أب، حم، أخ، فم، ذومال، هن" ترفع بالواو نحو: "جاء أبوزيد، وتنصب بالألف نحو: "رأيت أباه"، وتجّر بالياء نحو: "سلّمت على أبيه"، و المشهور أنّها تعرب بالحروف، فالواو نائبة عن الضّمة، والألف نائبة عن الفتحة والياء نائبة عن الكسرة"[1]. والصّحيح أنّها معربة بحركات مقدّرة على الألف والواو والياء.

فالرّفع بضمّة مقدّرة على الواو، والنّصب بفتحة مقدّرة على الألف والجّر بكسرة مقدّرة على الياء.

فمن هنا كان الجدال أو بالأحرى الخلاف بين البصريين والكوفيين إذ قال الكوفيون بأنّها معربة من مكانين، بينما ذهب البصريون إلى أنّها معربة من مكان واحد

(1)- أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد،(د- ط)، المكتبة العصرية ،بيروت(د- ت)، ج1 ص39.

فالواو والألف والياء هي حروف الإعراب.

حجّة الكوفيين:

ذهب الكوفيون خاصة "الكسائي" والفرّاء إلى أنّ "الأسماء الستّة المعتلّة: "أبوك، أخوك، هنوك، فوك، ذو مال، حموك" معربة من مكانين"[1] بحجّة أنّ الحركات (الضمة، الفتحة، الكسرة) تكون إعرابا لها في حال الأفراد نحو: "هذا أب لك"، والأصل فيها: "أبو" فاستثقلوا الاعراب على الواو فأوقعوه على الباء وأسقطوا الواو، فكانت الضّمة علامة للرفع، والفتحة علامة للّنصب، والكسرة علامة للجّر، وإذا قلنا في الإضافة (في حال الرفع): "هذا أبوك"، وفي حال النصب:"رأيت أباك"، وفي الجّر:" مررت بأبيك". فالإضافة طارئة على الإفراد فكانت الضّمة، الفتحة، الكسرة باقية على ما كانت عليه في الإفراد، لأنّ الحركة التي تكون إعرابا للمفرد في حال الإفراد هي بعينها تكون إعرابا في حال الإضافة، والذي يدّل على صحة هذا تغيّر الحركات على الباء في حال الرفع والنصب والجّر وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات تجري مجرى الحركات في كونها إعرابا، بدليل أنّها تتغير في حال الرفع والنصب والجّر، فدلّ على أنّ الضّمة والواو علامة للرفع، والفتحة والألف علامة للنصب، والكسرة والياء علامة للجّر فدلّ على أنّه معربة من مكانين.

وهناك من النحويين من قال بأنّها معربة من مكانين لقلّة حروفها، تكثيرا لها وليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان فوجب أن تكون معربة من مكانين.

حجة البصريين:

ذهب البصريون إلى " أنّ الأسماء الستة معربة من مكان واحد، والواو والألف والياء هي حروف الإعراب"[2]. وهذا ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش بحجة أن الإعراب، إنّما دخل الكلام في الأصل لمعنا وهو الفصل وإزالة اللبس، والفرق بين المعاني المختلفة بعضها من بعض من الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك، وهذا المعنى يحصل بإعراب واحد فلا حاجة إلى أن يجمعوا بين إعرابين لأنّ أحد الإعرابين يقوم مقام الآخر، فلا حاجة أيضا إلى أن يجمع بينهما في كلمة واحدة، ألا ترى أنّهم

---

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص13.

(2)- المرجع نفسه ص13.

يجمعون بين علامتي تأنيث في كلمة واحدة نحو :مسلمات، صالحات، وأنّ الأصل فيه:مسلمتات، صالحتات. لأنّ كلّ واحدة من التاء تدلّ عليها الأخرى من التأنيث و تقوم مقامها فلم يجمعوا بينهما.فكذلك الأمر هنا.

و هذا ما ذهب إليه "أبو الحسن الأخفش" في أحد القولين، إلاّ أنّه في القول الثّاني بأنّ" الألف، الواو، الياء" ليست بحروف إعراب بل دلائل إعراب في التثنية و الجمع وليست بلام الفعل أيضا.

تفصيل:

قبل التّفصيل في هذه المسألة نقول أنّ النّحويين قد اختلفوا في عدد الأسماء الستّة وفي إعرابها.فبالنسبة إلى عدد الأسماء الستّة قال "سبويه" و تبعه "الزّجاجي" بأنّها خمسة أسقط منها "هن". بحجة أنّ إعرابه بالحروف قليل فلذلك لم يعدّه في حالة الأسماء، لكن آخرون يعتبرونه منها.

أما عن إعرابها بالحروف فقد اشترطوا ثلاثة شروط:[1]

- ❖ أن تكون مكبّرة، فلو كانت مصغّرة أعربت بالحركات نقول: قام أخيك، رأيت أخّيك، مررت بأخيك.
- ❖ أن تكون مفردة، فلو كانت جمعا أعربت بالحركات: نقول: قام إخوانك.
- ❖ أن تكون مضافة إلى غير ياء المتكلّم، فلو كانت غير مضافة أعربت بالحركات نقول: "قام أخ، رأيت أخا، مررت بأخ" وإن كانت مضافة إلى ياء المتكلم كان حكمها حكم ما أضيف إلى ياء المتكلم يجري فيها من الخلاف ما يجري في المضاف إلى ياء المتكلم: هل هو معرب أم مبني: أولا معرب، ولا مبني، أو معرب في حال الجرّ مبني في حال الرفع والنصب.
- ❖ أن تكون غير منسوب إليها، فلو نسب إليها أعربت بالحركات نقول: "قام أخويك، رأيت أخويك، مررت بأخويك"، إذا فالنحويون اختلفوا في إعراب الأسماء الستة وذلك في أقوال:

الأوّل: أنها معربة بالحركات المقدرات فيا الواو والألف والياء، وهذه الحروف

---

(1)- محمّد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، د- ط، دار الطلائع القاهرة، ج1، 2004، ص52.

على هذا القول لامات الكلمة رجعت في الإضافة والحركات التي قبل هذه الحروف إتباع لحركات الإعراب المقدّرة لا في النصب، فإنّها جاءت موافقة لحركة الإعراب وبيان ذلك:

- أما في الرفع فكان الأصل فيه قام أخوك ثم حركوا الخاء بالضّم إتباعا، ثم استثقلوا الضمة على الواو فحذفوها فصار أخوك، فكما نرى أن علامة الرفع الضّمة التي كانت على الواو حذفت ففي صورة الرفع إعلالان: "حذف وإتباع".
- أّما في النصب فكان الأصل "أخوك "تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصار"أخاك" فكما نرى علامة الفتحة التي كانت على الواو التي انقلبت ألفا، ففي صورة النصب إعلال واحد وهو القلب.
- أّما في الجّر فكان الأصل:" مررت بأخويك"، ثم حركوا الخاء بالكسر إتباعا لحركة الواو استثقلوا الكسرة على الواو فحذفت، فوقعت الواو الساكنة قبلها كسرة فوجب قلبها ياء فصار: "أخيك" فكما ترى علامة الجّر الكسرة التي كانت على الواو التي قلبت ياءا، ففي صورة الجّر ثلاثة إعلالات:" حذف، وإتباع وقلب".

الثاني: قول الأخفش وأبي القاسم الزجاجي هو أنّ الأسماء الستة معربة بالحروف،فالواو علامة للرفع، والألف علامة للنصب، والخاء علامة للجّر فهذه الحروف علامة إعراب لا حروف إعراب.

الثالث: قول "المازني" إنّهل معربة بالحركات التي قبل الحروف والحروف إشباع فإذا قلنا: "قام أخوك" فعلامة الرفع الضّمة في الخاء، والواو إشباع كالواو في "أنظور" في قول الشاعر:[1]

الله أعلم أّنا في تلفتنا يوم اللقاء إلى أحبابنا صور.
وأنني حيثما يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنوا فأنظور.

والأصل "أنظر" وإذا قلنا: "رأيت أخاك" فعلامة النصب الفتحة في الخاء، والألف

(1)- البيتان لابراهيم بن هرمة في شرح جمل الزجاجي ص120.

إشباع كالألف في العقراب، في قول الشاعر:

أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب.

الرابع: قول عيسى بن عمر الربعي، أنها معربة بالحركات المنقولة من هذه الحروف إلى الحروف التي قبلها فالواو والألف والياء لامات نقلت منها الحركات إلى العينات نحو:" أخوك وأخوك وأخوك" في الرفع والنصب والجّر فاستثقلوا الضّمة على الواو والفتحة على الواو، والكسرة على الواو فكان في حالة الرفع حذف ونقل، وفي النصب قلب، وفي الجّر حذف ونقل وقلب.

الخامس:قول الأخفش: أنّ هذه الحروف، وقد فسّر قوله بتفسيرين: أحدهما للسرافي وأبي إسحاق: وهو أنها معربة بحركات مقّدرة في الحروف التي قبل حروف العلة، وحرف العلة دليل على تلك الحركة المقّدرة، ولم تظهر الحركة لأنّ الحرف، مشغول بالحركة التي يطلبها الحرف فإذا قلنا:" قام أخوك" فالحركة الموجودة على الخاء هي التي لأجل الواو، وضّمة الإعراب مقدّرة وعلى الحكم في النصب والجّر. والثاني لابن السّراج وهو أنّ قول الأخفش: دلائل إعراب أنّ هذه الحروف لامات الكلمة ولا حركة فيها لا ظاهر، ولا مقّدرة فسميت دلائل إعراب بهذا الاعتبار.

<u>رأي ابن الأنباري في المسألة:</u>

لقد حاول ابن الأنباري أن يقف كالحلّ الوسط بين المذهبيين ، وحاول أن يعطي حجّة لإدحاض الواحد على الآخر،فكان يردّ على كلّ مسألة بما يستحضره العقل من كلام العرب وسّنة المصطفى وكلام اللّه عزّ شأنه و جلاله " ،فردّ أوّلا على أنّ الإعراب جاء للفصل بين المعاني بعضها البعض ....."[1] قال لو جّوزنا أن يجمع في اسم واحد إعرابان مختلفان لأّدى ذلك إلى التناقض ،فلو قّدرنا الّرفع والّنصب في اسم واحد لدلّ الّرفع على الفاعلية والّنصب على المفعولية ،وكلّ واحد منهما نقيض الآخر،وردّ أيضا على الّذين قالوا بأنّ "الألف ،الواو ،والياء ليست بحروف إعرا ب ،إنّما دلائل إعراب بحكم أن يكون الإعراب فيها لأّنها آخر الكلمة

(1)- ابن الأنباري :الإنصاف في مسائل الخلاف:ص(20-23).

خاصة الأخفش " وردّ أيضا على الّذين قالوا بالقلب والّنقل والحذف معا في هذه الحروف.

3-3- المسألة الثالثة:الاسم المقصور

ينقسم الاسم باعتبار آخر حرف من حروفه إلى:

- ✓ صحيح الآخر:وهو ما ليس حرف علّة ولا ألف ممدودة مثل:رجل كتاب.
- ✓ شبه صحيح الآخر:وهو ما كان آخره حرف علّة ساكنا ما قبله مثل :دلو، ظبي،وسمي بذالك لأنّ الحركات الثلاث تظهر على آخره كالصحيح نقول: دلو، دلو، دلوا.
- ✓ مقصور:وهو الاسم المعرب الذي في آخره ألف لازمة التي قد تكون:

أصلية منقلبة عن واو مثل:عصا ،الأصل:عصو.

أصلية منقلبة عن ياء مثل:هدى، الأصل:هدي.

قد تكون مزيدة للتأنيث مثل: عطشى،الأصل:عطش،

قد تكون للإلحاق مثل:أرطى(*).

إذا فالاسم المقصور" تقّدر عليه الحركات الثلاث ،لأنّ الألف لا تقبل الحركة مطلقا، لذلك نعربه بحركة مقّدرة منع من ظهورها التعذّر أي استحالة وجود الحركة على الألف ،وهو ممنوع من الصرف ، ويجّر بالفتحة"[1] فنقول:

جاء موسى: فاعل مرفوع بالضّمة، مقدرة منع من ظهورها التعذّر.

رأيت موسى:مفعول به منصوب بالفتحة مقّدرة منع من ظهورها التعذّر.

مررت بموسى: اسم مجرور بالفتحة المقّدرة منع من ظهورها التعذّر.

وسميت هذه الألف مقصورة لأّنها أقصر في الّلفظ من أختها الممدودة التي تليها الهمزة، وهي تكتب على صورة الألف، إن كانت ثالثة أصلها واو مثل:العصا،العلا وترسم على صورة الياء إن كانت ثالثة منقلبة عن ياء، أو كانت رابعة فصاعدا مثل:هدى، حبلى، مصطفى، مستشفى...إلخ.

والمقصور نوعان " نوع سماعي لا تضبطه قواعد معّينة وإّنما نلتزم فيه بما ورد في

(*)- أرطى: نوع من الشجر.

(1)- عبده الّراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، د-ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص22.

الاستعمال اللّغوي، ونوع قياسي وهو الذي يمكننا أن نصوغه حسب القواعد التي توصّل إليها الصرفيون"[1] لهذا فمجمل ما توصلوا إليه أنّ المقصور القياسي :هو كل اسم آخره ألف وله نظير من الأسماء الصحيحة، لذا يمكن تتّبع أشهر صيغه القياسية على النحو التالي:[2]

- فعل: مصدر للفعل اللازم الذي جاء على وزن "فعل" نحو:رضي، رضي .وجمع فعلة نحو: حلى(ج:حلية).

- فعل:(ج فعلة) نحو:مدى(ج مدية) ،وجمع مؤّنث من أفعل التفضيل نحو:القصا(ج:القصوى).

- فعل:اسم جنس يدلّ على الجمعية إذا تجرّد من التاء، وعلى الوحدة إذا لحقته التّاء نحو: حصى(ج:حصاة).

- مفعل: المدلول به على مصدر أو زمان أو مكان نحو:المحيّا، المرقى.

- مفعل: المدلول به على آلة نحو: المكوى.

- أفعل:صفة للتّفضيل نحو :أقصى، أو لغير التّفضيل نحو: أعمى.

- فعلى:مؤنث أفعل الذي للتّفضيل من الصحيح الآخر أو معتلّة ، نحو:حسنى مؤنث أحسن، فضلى مؤنث أفضل.

- اسم المفعول :الذي ماضيه المجرّد ثلاثي نحو:مصطفى، مستشفى ،معطى.

- أما السماعي :فيكون في غير هذه المواضع آنفة الذّكر،فيحفظ ولا يقاس عليه نحو : هدى، رحى، سنا[*]، ثرى، فتى...إلخ.

<u>تثنية المقصور:</u>

يقول ابن مالك:

آخر مقصور تثني اجعله يا إن كان عن ثلاثة مرتقيا.

كذا الذي اليا أصله نحو الفتى والجامد الذي أميل كمتى.

(1)- محمّد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، د- ت، ج1- ص194.

(2)- ينظر: راجي الأسمر: المعجم المفصّل في علم الصرف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص136.

(*)- سنا: ضوء البرق.

في غير ذا تقلب واوا الألف وأولها ما كان قبل قد ألف.

فمن المعروف أنّ التثنية تكون بزيادة ألف على المفرد تليها نون مكسورة، ونحن نرى أنّ الاسم المقصور يشترط أن يكون آخره ألف لازمة، فكيف إذا نثّني اسما مقصورا؟ لذا لاشكّ أنّ الألف التي هي آخر الاسم، والألف التي هي ألف التثنية لا يمكن أن يجتمعا، ومن ثّم نلاحظ أنّ ألف المقصور يحدث فيها عند التثنية ما يلي[1]:

❖ تقلب ألفه ياءا في ثلاث حالات:

- أن تتجاوز ألفه ثلاثة أحرف :كحبلى، حبليان، ملهى، ملهيان.وشذّ قولهم في تثنية: قهقرى وخوزلى: قهقران، خوزلان بالحذف.
- أن تكون ثالثة مبدلة من ياء كفتى، لقوله تعالى:﴿ ودخل معه السّجن فتيان﴾ **[سورة يوسف – الآية36]** و شذّ في حمى :حموان بالواو.
- أن تكون غير مبدلة، وقد أميلت كمتى، لو سّميت بها قلت في تثنيتها :متيان.

❖ تقلب ألفه واوا في حالتين:

- أن تكون مبدلة من الواو كعصا، وقفا، منا (وهو لغة في المنّ الذي يوزن به) فنقول:عصوان، قفوان. وشذّ قولهم في، رضا:رضيان بالياء مع أّنه من الرضوان.
- أن تكون غير مبدلة، ولم تمل نحو: لدى، إذا فنقول إذا سّميت بهما ثّم ثنيتهما: لدوان، إذوان.

<u>حجّة الكوفيين:</u>

ذهب الكوفيون إلى أنّ"الاسم المقصور، إذا كثرت حروفه سقطت ألفه في التثنية، فقالوا في تثنية "خوزلى، قهقرى":خوزلان، قهقران"[2]. وحجّتهم في ذلك أّنه لّما كثرت حروفهما وطال اللّفظ بهما، والتثنية توجب زيادة ألف ونون أو ياء ونون عليهما ازدادا كثرة و طولا، فاجتمع فيهما ثقلان: ثقل أصلي وثقل طارئ، فجاز أن يحذف منهما لكثرة حروفهما، كما يحذفون لكثرة الاستعمال.

---

(1)- ينظر: أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تح: محّمد مخي الدين عبد الحميد،(د- ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د- ت)، ج4، ص 299.

(2)- ابن الأنباري: الإنصاف، ص 612.

والذي يدلّ على أنّ طول الكلمة وكثرة حروفها له أثر في الحذف قولهم:اشهابّ: اشهبابا، واحمارّ :احميرارا، والأصل:اشهيبابا(*)، احميرارا. فحذفوا الياء لطول الكلمة وكثرة حروفها. كما أنّهم زعموا في "كينونة" التي أصلها "كيّنونة"بالتشديد ثّم أوجب الحذف لطول الكلمة طلبا للتّخفيف، فدلّ على أنّ طول الكلمة وكثرة حروفها له أثر في الحذف، فكذلك الأمر هنا. وعلى هذا يخرج ما لم يكثر حروفه منهما، فإنّه لا يجوز أن يحذف منه شيء لقلّة حروفه.

<u>حجّة البصريين:</u>

ذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز حذف شيء من ذلك في مقصور ولا ممدود، لأنّ التثنية إنّما وردت على لفظ واحد، فينبغي أن لا يحذف منه شيء قلّت حروفه أو كثرت. وحجّته في ذلك أنّ العرب لم تحذف فيما كثرت حروفها كما حذفت فيما قلّت حروفه فقالوا قي تثنية "جمادى" "جماديين" من غير حذف لقول الشاعر:

أصبح قيس خفش العينين علّته ما تنقضي شهرين.

شهري ربيع وجماديين.

وقال آخر:

جماديين حرام.

وقال آخر:

جماديين حسوما.

إذا فالبصريون هنا ثّوا على تمام الاسم على الأصل من غير حذف، والعدول عن الأصل والقياس والنقل من غير دليل لا وجه له.

<u>تفصيل:</u>

"الاسم"لا يخلوا أن يكون صحيحا أو معتّلا، فالمعتل ينقسم إلى قسمين: مقصور ومنقوص. لذا فالمقصور لا يخلو أن يكون ثلاثيا أو رباعيا أو أكثر، فإن كان ثلاثيا ما علينا إلاّ أن نعرف أصل الألف: واوا أم ياءا، فإن كانت واوا فواوا، وإن كانت ياءا فياءا نحو: "القنا، العصا": "قنوان، عصوان". و"الرحى، الفتى": "رحيان، فتيان" وإن لم تعرف للألف أصلا فلا يخلو أن سمعت فيها الإمالة أو قلبت ياءا من الأحوال: فإذا سمعت

(*)- الشهب والشهبة: لون بياض يصدعه سواد من خلاله.

فيها الإمالة نحو:"متى، إلى" قلبت في حال من الأحوال ياءا نحو:"متيان، إليان". وإن لم تسمع الإمالة فإنّ الألف تقلب واوا.

وإذا كان "الاسم" على أربعة حروف" قلبت الألف ياءا على كل حال سواء أن كان أصلها الياء أو الواو وسواء كانت الألف لا أصل لها كألف الإلحاق والتأنيث[1]. نحو قولنا:" مرمى، مرميان" بالياء وأصله الياء من رميت، وفي "ملهى: ملهيان "وأصله الواو "لهوت"، وفي "أرطى: أرطيان"،"سلمى، سلميان" لا أصل لهما. وشذّ من الأصل "مذراوان" وكان حقه أن يثّنى بالياء. والجواب أنّه لّما كان الرباعي أثقل من الثلاثي ثني بالياء مطلقا لأنّ الياء أخفّ من الواو أو نقول أنّ الألف المنقلب عن الواو في التثنية ياءا بالحمل على الفعل فقالوا: "مغزيان" وإن كان من "غزوت" بالحمل على "يغزي"، والقلب أصله في الأفعال والأسماء محمولة في القلب عليها.

وإن كان زائدا على أربعة أحرف ففيه خلاف بين الكوفيين والبصريين، فالبصريون يقلبون الألف ياءا كما مّر في الرباعي فيقولون:" قبعثريان"،"خوزليان"[*] "جماديان" بقلب الألف في ذلك كله ياءا، والكوفيون يحذفون الألف تخفيفا فيقولون: "خوزلان، قبعثران، جمادان" بحذف الألف في ذلك كلّه، والصحيح مذهب البصريين لأنّ السماع يشهد لهم قول الشاعر:

شهري ربيع وجماديين.

رأي ابن الأنباري في المسألة:

لقد ردّ ابن الأنباري في هذه المسألة على قول الكوفيين بأنّ كثرة الحروف وطول ألفاظها لا تكون علّة موجبة للحذف، وإنّما يجب ذلك في ألفاظ يسيرة نقلت عنهم على خلاف الأصل والقياس، فيجب الاقتصار على تلك المواضع ولا يقاس عليها غيرها. إذ ليس الحذف للكثرة قياسا مطردا، وإذا وجب الإقتصار على ما نقل عنهم من الحذف للكثرة بطل أنّ الحذف هاهنا للكثرة لو ورد النقل بخلافه ويردّ عليهم أيضا بأنّ استشهادهم ب"اشهباب وكينونة" والأصل فيهما "اشهيباب وكّينونة" بالتشديد فمخالف لما وقع الخلاف فيه لأنّ الثقل فيهما لازم في أصل الكلمة، بل هو عارض لأنّ التثنية

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص613.

(*)- الخوزلى والخيزلى: مشية فيها تفكك.

عارضة وليست لازمة، ثم أيضا استشهادهم ب"كينونة" وأنّ أصلها" كَيْنونة" بالتشديد لا يستقيم لأنّه شيء لا يقولون به، كما لأنّ الأصل عندهم في "كينونة" هو"كوننة" فأبدلوا من الواو ياءا فكيف يستشهدون به على صحّة مذهبهم بشيء لا يعتقدون صحّته.

3-4- المسألة الرابعة: سين الاستقبال محذوفة من سوف:

لكلّ من الفعل والاسم خواص، فمن الحروف التي تدخل على الأفعال"سين وسوف" وهي للاستقبال، إذ تكون في أوّل الفعل مثل النواصب والجوازم، فالسين تفيد المستقبل القريب أمّا سوف تفيد المستقبل البعيد. إذا هذه الحروف تجعل الفعل المضارع يفيد الإستقبال بعد أن كان يتحمّل الزمانين نحو:"سيوفقكم الله".

السين"تسمى حرف التنفيس لكونها تنفّس في الزمان"[1]. أي تأخر، وحرف التسويف والمعنى قريب من معنى التسويف يقال:" سوّفني زيد". إذ قال:"سوف مرّة بعد مرّة". واختصّت من الأفعال بالمضارع لأنّها تخلصه للاستقبال بعد أن كان محتملا للحال والاستقبال. فإذا قلنا:"زيد يضرب"، احتمل الحال والاستقبال، وإذا قلت: سيضرب اختصّ للاستقبال. لهذا فإنّها تعرب حرف تنفيس والصحيح أنّه يجوز إعمال ما بعدهما فيما قبلهما نحو "زيد سأكرم" أو "سوف أكرم"، و"تنفرد سوف عن السين بدخول اللام فيها"[2] نحو قوله تعالى:﴿ ولسوف ترضى﴾**[سورة الليل الآية21]** وحدث اختلاف بين النحويين في هذه السين هل هي أصلية أم فرعية؟.

ذهب الكوفيون إلى أنّ هذه السين التي تدخل على الفعل المستقبل نحو:"سأفعل" أصلها" سوف أفعل" ، أي أنّها اقتطعت منها تخفيفا، وذهب البصريون إلى أنّها أصل بنفسها.

حجة الكوفيين[3]:

إنّما قال الكوفيين بذلك لأنّ "سوف" كثر استعمالها في كلامهم وجريها على ألسنتهم وهم أبدا يحذفون لكثرة الاستعمال كقولهم "لا أدري، ولم أُبلِ، ولم يك" وأشباه ذلك، والأصل:" لا أدري، لم أبال، لم يكن"...فحذفوا في هذه الموضع وما أشبهها لكثرة

(1)- موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصّل، (د- ط)، الطّباعة المنيرية، مصر،(د- ت)، ج8،ص148.

(2)- محمّد أحمد مرجان: مفتاح الإعراب، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000، ص29.

(3)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص514.

الإستعمال. فكذلك الأمر هنا، فلما كثر استعمال سوف في كلامهم حذفوا منها الواو والفاء تخفيفا ودليلهم على ذلك أّنه قد صحّ عن العرب أّنهم قالوا:"سوف أفعل: سو أفعل"، فحذفوا الفاء. ومنهم من قال :"سف أفعل" فحذف الواو. وإذا جاز أن يحذف الواو تارة، والفاء تارة أخرى لكثرة الاستعمال جاز أن يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف إليهم في اللغتين لكثرة الاستعمال. والذي يدلّ على أّن السين تدلّ على ما تدلّ عليه سوف من الاستقبال. فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دلّ على أّنها مأخوذة منها وفرع عليها.

حجة البصريين:[1]

إنّ ما قال البصريون بذلك لأّن الأصل في كل حرف يدّل على معنا أن لا يدخله الحذف، وأن لا يكون أصلا في نفسه، والسين حرف يدلّ على معنا لذا ينبغي أن يكون أصلا في نفسه لا مأخوذا عن غيره.

تفصيل:

إنّ ما ذهب الكوفيون يلزم شيئين: الحذف وهو تصرف والتصرف لا يكون في الحروف، وتوالي إعلالين: حذف الفاء في من قال:"سو" وحذف الواو في من قال:"سف"، وتوالي إعلالين ممنوع في الأسماء والأفعال فكيف بالحروف؟ وأّما هل السين تعطي من المعنى ما تعطيه سوف أم لا؟. فهناك من يقول أّن معناهما مختلف فالسين أقلّ تراخيا من "سوف" فإذا قلنا:"سوف يقوم زيد" ففي قيامه بعد من زمان الحال، وإذا قلنا سيقوم زيد ففيه قرب من زمان الحال، واستروحوا - أي قالوا بذلك - من قوله تعالى:﴿ وسوف تسألون﴾**[الزخرف الآية 44]** قالوا:" فطال الأمد والزمان" ومن قوله تعالى:﴿ سيقول السفهاء﴾**[البقرة الآية 142]** قالوا:" فتعجّل القول"، وقالوا:" ومتى جاء الفعل الذي يراد به يوم القيامة ومعه سوف فهو الأصل كقوله تعالى:﴿ كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون﴾**[التكاثر الآية4/3]** ومتى جاء ومعه السين نحو قوله تعالى:﴿ وسيعلم الذين ظلموا﴾**[الشعراء الآية 227]** فالتقريب فيه يراد به التخويف والترهيب لأجل ذلك عدّل عن "سوف". وذهب قوم إلى أّن معناهما واحد وإليه تميل

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص 515.

النفس إذ لا دليل على ما قالوه.

وإذا قلنا لأي شيء لم تعمل السين في الفعل المضارع مع أنّها قد اختصّت به والحرف إذا اختصّ عمل؟ فالجواب بكل بساطة إنّما لم تعمل لأنّها صارت مع الفعل كالشيء الواحد وبعض الشيء لا يعمل في البعض. وللعلم أنّ السين أكثر استعمالا في الكلام من سوف والقرآن الكريم يثبت ذلك لأنّ "السين" وردت في اثنين وثمانين موضعا أو نحوها، بينما وردت "سوف" في خمسة وثلاثين موضعا أو نحوها.

والكلام نفسه ينطبق على سوف التي تدخل عليها لام الابتداء نحو قوله تعالى: ﴿لسوف يعطيك ربك فترضى﴾**[الضحى الآية 5]** وأيضا في قوله :﴿ لسوف أخرج حيا﴾**[مريم الآية 66]** لذا لأي شيء لم تدخل لام الابتداء على السين ودخلت على سوف؟ فالجواب أنّ "سوف" لّما كانت على ثلاثة أحرف أشبهت الاسم في اللفظ فدخلهما اللام لذلك بخلاف "السين"، وفي " سوف" أربع لغات "سوف" بالبناء على الفتح وهي الأصل و"سف" بحذف الواو والبناء على السكون، و"سو" بحذف الفاء والبناء على السكون و"سي" بقلب الواو ياءا والسكون.

<u>رأي ابن الأنباري في المسألة:</u>

أوّلا ردّ "ابن الأنباري" على الكوفيين حين قالوا:" إنّ سوف لما كثر استعمالها في كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال" قال:" هذا فاسد" لأنّ الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياس ليجعل أصلا لمحلّ الخلاف، على أنّ الحذف لو وجد كثيرا في غير الحرف من الاسم والفعل فقلّ ما يوجد في الحرف وإن وجد الحذف في الحرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس فلا يجعل أصلا يقاس عليه وردّ عليهم أيضا فيما رووه عن العرب من قولهم:"سوف أفعل، سو أفعل، وسف أفعل" بما يلي:

الوجه الأوّل: أنّ هذه الرواية تفرّد بها بعض الكوفيين فلا يكون فيها حجة.

الوجه الثاني: إن صحّت هذه الرواية عن العرب فهو من الشاذ الذي لا يعبأ به لقلته.

الوجه الثالث: أنّ حذف الفاء والواو على خلاف القياس، فلا ينبغي أن يجمع بينهما في الحذف لأنّ ذلك يؤدي إلى ما لا نظير له كلامهم لأنّه ليس في كلامهم حرف حذف جميع حروفه طلبا للخفة على خلاف القياس حتى لم يبق منه إلاّ حرف واحد والمصير إلى ما لا نظير له في كلامهم مردود. وردّ عليهم أيضا حين قالوا:" إنّ السين

التي تدلّ على الاستقبال كما أنّ سوف تدلّ على الاستقبال"[1]. فقال: "هذا باطل لأنّه لو كان الأمر كما زعموا لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدّ واحد، ولا شك أنّ سوف أشدّ تراخيا في الاستقبال من السين، فلما اختلفا في الدلالة دلّ على أنّ كلّ واحد منهما حرف مستقل بنفسه،غير مأخوذ من صاحبه.

3-5- المسألة الخامسة: كي

من المعروف أنّ الكلام يتألّف من: اسم وفعل وحرف فقد قال "ابن مالك" في ألفيته:[2]

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم.

فالحرف هو ما دلّ على معنا في نفسه بل يظهر في غيره فهناك من الحروف المختصة بالأفعال نحو:"حروف الجزم، حروف النصب" وهناك حروف مختصّة بالأسماء نحو:" حروف الجّر" لكن هناك بعض الحروف المشتركة بين النصب والجّر، فتارة تكون حرف جّر وتارة أخرى حرف نصب، مثل:"كي" إذ قال عنها ابن مالك بأّنها تفيد الجّر في قوله:

هاك حروف الجّر وهي: من، إلى حتى، خلا، حاشا، عدا، في، عن، على.

مذ، منذ، ربّ،اللام، كي، واو،و، تا والكاف، والباء، ولعل، ومتى.

إذا هنا "كي" حتى يكون حرف جّر إلاّ إذا:

- دخلت "ما" الاستفهامية نحو:"كيمه" أي:" لمه" ف "ما" استفهامية مجرورة ب "كي" وحذفت ألفها لدخول حرف الجّر عليها وجيء بالهاء للسكت.

- عندما نقول:"جئت كي أكرم زيدا" فأكرم:فعل مضارع منصوب بأن بعد "كي"ولأّنه قد يؤتى ب"لام" قبل"كي" فيقال:"جئت لكي أتعلم". والفعل مقّدر مصدر مجرور ب"كي" وتقدير الكلام:"جئت لإكرام زيد.

أّما "ابن معط" في ألفيته فإّنه جعلها من نواصب الفعل المضارع يقول:

ونصبه بأن، ولن، ثم إذا وأحرف فيها أتى إضمار أن.

كي، لام كي، لام الجحود، حتى والواو والفاء إذا أجبتا.

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف 516.

(2)- ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف ص3.

إذا فالخلاف في بعض الحروف إن كانت حروف جرّ أم نصب مثل " كي" نجده عند الكوفيين والبصريين :إذ ذهب الكوفيون إلى أنّ "كي"لا تكون إلاّ حرف نصب ،ولا يجوز لها أن تكون حرف خفض ،بينما ذهب البصريون إلى أنّه يجوز ل"كي" أن تكون حرف جرّ.

حجّة الكوفيين:

إنّما قال الكوفيون بذلك أنّ "كي" لا يجوز أن تكون حرف خفض لأنّها من عوامل الأفعال، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف خفض، لأنّه من عوامل الأسماء، وعوامل الأفعال لا يجوز أن تكون من عوامل الأسماء. والشيء الذي يدلّ على أنّها لا تكون حرف خفض دخول اللام عليها كقولهم: "جئتك لكي تفعل هذا"، لأنّ هذه اللام على أصلها حرف خفض وحرف الخفض لا يدخل على حرف الخفض، وقال أيضا لا يجوز أن يقال:" الدليل على أنّها حرف جرّ أنّها تدخل على "ما" الاستفهامية، كما يدخل عليها حرف الجرّ، فيقال:" كيمه كما يقال: لمه"[1]. لذا قالوا:" مه"من" كيمه" ليس لكي فيه عمل، وليس فيه موضع خفض، وإنّما هو في موضع نصب لأنّها تقلل عند ذكر كلام لم يفهم، يقول القائل:" أقوم كي تقوم" فيسمعه المخاطب ولم يفهم "تقوم" فيقول:كيمه؟ يريد "كي" ماذا والتقدير "كي" ماذا والتقدير:كي ماذا تفعل؟ ثم حذف "فمه" في موضع نصب وليس ل "كي" فيه عمل.

حجة البصريين:

إنّ ما قال البصريون بذلك، والدليل على أنّها تكون حرف جرّ دخولها على الاسم الذي هو "ما" الاستفهامية كدخول اللام وغيرها من حروف الجرذ عليها وحذف الألف منها فإنهم يقولون:"كيمه" كما يقولون:"لمه" ، والدليل على أنّها في موضع الجرّ أنّ الألف من "ما" الاستفهامية لا تحذف إلاّ إذا كانت في موضع جرّ واتصل بها الحرف الجار كقولهم:" لما، بما، فيما، عمّا" قال تعالى:﴿ لما تقولون ما لا تفعلون﴾ [سورة الصّف الآية 61] وقال أيضا:{ عمّا يتساءلون}النبأ الآية1 وأمّا إذا اتصل ب"ماذا" فلا يجوز حذف الألف منها، وإن اتصل بها حرف الجرّ، فلا يجوز أن يقال:" في لم ذا، وبم ذا،

---

(1)- لقد ورد اختلاف في إعراب "ما" الاستفهامية هنا فهي عند البصريين مجرورة وعند الكوفيين منصوبة بفعل مضمر تقديره: كي تفعل ماذا.

وفيم ذا، وعّم ذا"، لأنّ " ما" صارت مع "ذا" كالشيء الواحد، فلم تحذف منها الألف، وكذلك إذا وقعت في صدر الكلام لا يجوز أن تحذف الألف منها كقولهم:" ما تريد، وما تصنع" فلا يجوز أن يقال:"م تريد، م تصنع"، فلماذا حذف الألف منها في قولهم:"كيمه" كما يحذف مع حروف الجّر، دلّ على أنّها حرف جّر وإنما حذفت مع حروف الجّر لأنّها صارت مع حرف الجّر بمنزلة كلمة واحدة، فحذفت الألف منها للتخفيف ودخلها هاء السكت صيانة للحركة عن الحذف فصار:" كيمه، ولمه، بمه، فيمه،عّمه" وقد يجوز أن يكون أبدلوا الهاء من الألف في "ما" كما أبدلوها من الألف في"أنا" فقالوا:" أنّه"، وفي:" حيهلا" فقالوا:"حيهله.

<u>رأي ابن الأنباري في المسألة:</u>

أّما قول الكوفيين إنّها الناصبة كونها قامت مقام "كي" فردّ عليهم بأن لا نسلّم بأنّ"كي" لا تنصب بنفسها على الإطلاق، وإنما تنصب تارة بتقدير أن لأنّها حرف جّر وتارة تنصب بنفسها وليس حملها على إحدى الحالين أولى من الأخرى، بل حملها عليها في الحالة التي تنصب الفعل بنفسها لأنّها في تلك الحالة التي تنصب الفعل بتقدير"أن" حرف جّر كما أنّ "اللام" حرف جّر، وفي الحالة التي تنصب الفعل حرف نصب، وحمل حرف الجّر على حرف الجّر أولى من حمل حرف الجّر على حرف النصب، كما أنّ "كي" في هذه الحالة تنصب الفعل بتقدير"أن" فكذلك "اللام" ينبغي أن تنصبه بتقدير"أن" ، وأّما عن قولهم أنّها تشتمل على معنى"كي" ردّ عليهم: تشتمل على هذا المعنى إذا كانت ناصبة، وإذا كانت جارة فإنّه لا فرق بين "كي" الناصبة و"كي" الجارة في المعنى. على أنّ كونها في معنى "كي" الناصبة لا يخرجها عن كونها حرف جر، فإنّه قد يتّفق الحرفان في المعنى وإن اختلفا في العمل. ألا ترى أنّ اللام في قولك:" جئت لإكرامك" بمعنى "كي" في قولك:" جئت كي أكرمك، ولكي أكرمك" وإن كانت "اللام" حرف جّر و"كي" حرف نصب، ولم تخرج بذلك عن كونها حرف جّر. وكذلك الأمر هنا وردّ أيضا على قولهم إنّها تفيد معنى الشرط فأشبهت "إن" المخففة الشرطية. فقال: لا نسلم أنّها تفيد معنى الشرط وإنما تفيد التعليل ثم لو كان كما زعموا لكان ينبغي أن تحمل عليها في الجزم فيجزم باللام كما يجزم ب "أن" من أجل المشابهة التي بينهما. وردّ على قولهم: إنّ الفعل المضارع يرتفع لخلوه من حرف الشرط

وغيره من العوامل الناصبة والجازمة فقال: بفساد ما نسبوا إليه من ارتفاع من "ما" لأّنها لا يحذف الألف منها.إلاّ إذا كانت في موضع جّر بخلاف "ما" إذا كانت في موضع نصب أو رفع، فإّنه لا يجوز أن يحذف الألف منها، ألا ترى أّنه لا يجوز أن نقول:"م تفعل" في قولك:"ما تفعل" و"م عندك" في قولك:"ما عندك". فلما حذفت الألف هنا دلّ على أّنها ليست في موضع نصب وإّنما هي في موضع جّر.

ثم إنّ هذا الحذف في موضع الجّر إّنما يكون في "ما" الاستفهامية دون ما الوصول إلاّ في قولهم:" ادعوا بما شئت" أي بالذي شئت، فإّن العرب تحذف الألف من"ما" هنا خاصة كما تحذفها منه إذا أرادت ب" ها" الاستفهامية

3-6- المسألة السادسة "لام كي":

ذهب الكوفيون إلى أّن "لام كي"هي الناصبة للفعل نفسها من غير تقدير "أن" نحو:" جئتك لتكرمني". وذهب البصريون إلى "أن" الناصبة للفعل "أن" مقدرة بعدها والتقدير:" جئتك لأن تكرمني".

حجة الكوفيين:

إّن ما قال الكوفيون بذلك بأّنها هي الناصبة لأّنها قامت مقام الفعل، ولهذا تشمل على معنى"كي" وكما أّن "كي" تنصب الفعل فكذلك ما قام مقامه.

وهناك من النحويين من قال:" إّنما نصبت الفعل لأّنها تفيد معنى الشرط بقولك:" قمت لتقوم". فأشبهت "إن" المخففة الشرطية، إلاّ أّن "إن" لما كانت أم الجزاء، أرادوا أن يفّرقوا بينهما فجزموا ب "أن" "[1]. ونصبوا باللام للفرق بينهما، ولم يكن للرفع مدخل في واحد من هذين المعنيين لأّنه يبطل مذهب الشرط، لأّن الفعل مضارع إّنما ارتفع لخلوه من حرف الشرط وغيره من العوامل الجازمة والناصبة، وقالوا- الكوفيون- لا يجوز أن يقال:" هلا نصبوا بأن وجزموا باللام وكان الفرق واقعا"[2] لأنهم قالوا:" إن" لما كانت أم الجزاء كانت أولى باستحقاق الجرم لأنها تفتقر إلى فعل الجزاء كما تفتقر إلى فعل الشرط فيطول الكلام. والجزم حذف والحذف تخفيف، ومع طول الكلام يناسب الحذف والتخفيف بخلاف اللام فبان الفرق بينهما، كما لا يجوز أن نقول: إنها لام

(1)- ابن يعيش: شرح المفصّل ج7، ص40.

(2)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص463.

الخفض التي تعمل في الأسماء، لأّنهم قالوا: لو جاز أن يقال إنّ هذه اللام الداخلة على الفعل هي اللام الخافضة والفعل ينتصب بعدها بتقدير"أن" لجاز أن يقال:"أمرت بتكرم"،على تقدير:"أمرت بأن تكرم"، فلما لم يجز ذلك بالإجماع دلّ على فساده.

حجة البصريين:[1]

قال البصريون بأن الناصبة للفعل "أن" المقدّرة دون اللام، وذلك لأّن اللام من عوامل الأسماء، وعوامل الأسماء لا يجوز أن تكون عوامل الأفعال، فوجب أن يكون الفعل منصوبا بتقدير:"أن" دون غيرها لأّن "أن" يكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجّر وهي أم الباب فكان تقديرها أولى من غيرها، ولهذا إن شئت أظهرتها بعد اللام، وإن شئت أضمرتها كما يجوز إظهار الفعل وإضماره بعد "إن" في قولهم:"إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"وإنّما حذفت هنا بعد اللام ،وكذلك بعد الواو والفاء تخفيفا و الحذف للتّخفيف كثير في كلامهم لهذا يذهبون إلى أّنه حذفت لام الأمر، وتاء المخاطب في أمر المواجه طلبا للتخفيف، وقد حكا "هشام بن معاوية" عن "الكسائي" أّنه حكى عن العرب" لابد من يتبعها" أي لا بدّ من أن يتبعها فحذف "أن" فكذلك الأمر هنا.

رأي ابن الأنباري في المسألة:

كان جوابه على الكوفيين، حين قالوا أّن "كي" من عوامل الأفعال فلا يجوز أن تكون من عوامل الأسماء، فقال: إنّ هذا الحرف من عوامل الأفعال في كلّ الأحوال أو في بعض الأحوال؟ وهذا لأّن "كي" على ضربين: أن تكون حرف نصب من عوامل الأفعال،كما ذكروا وذلك إذا دخلت عليها اللام، كقولنا:"جئتك لكي تكرمني" كما قال تعالى:﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾[الحديد الآية 75] ف "كي" هنا هي الناصبة بنفسها من غير تقدير"أن"، ولا يجوز أن تكون هنا حرف جّر لأن حرف الجّر لا يدخل على حرف الجّر وهذا لا إشكال فيه.

- أن تكون حرف جّر كالكلام نحو:"جئتك لكي تكرمني" فهذه "كي" حرف جّر بمنزلة اللام، والفعل بعدها منصوب بتقدير "أن" كما هو منصوب بعد اللام بتقدير "أن"، وحذفت فيهما طلبا للتخفيف.

(1)- ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ص464.

والذي يدلّ على أّنها بمنزلة اللام أّنها بمعنى اللام ألا ترى أّنه لا فرق بين قولك:"جئتك لكي تكرمني"، وبين قولك:"جئتك لكي تكرمني". وإذا كان بمعنى واحد فلا معنى لترك الظاهر لشيء لم يقم عليه دليل فدلّ على أّنها تكون حرف جّر كما تكون حرف نصب، فإذا ذهبت بها مذهب حرف الجّر لم تتوهم فيه غيره، فهي وإن كانت حرفا واحدا فقد تنزّلت منزلة حرفين وصار هذا كما قلتم في "حتى" فإّنها تنصب الفعل في حال من غير تقدير ناصب ويختص الاسم في حال من غير تقدير خافض على الصحيح المشهور من مذهبهم ولم يمنع كونها ناصبة للفعل أن تكون حافظة للاسم، فكذلك الأمر هنا.

وأّما عن قولهم إنّ "مه" في موضع نصب قال:هذا باطل . لأّنها لو كانت ما في موضع نصب لكان ينبغي أن لا يحذف ألف المضارع ،بتعّريه من العوامل النّاصبة و الجازمة في موضعه بما يغني عن الإعادة.

وأّما قولهم : إّنها لو كانت لام الجّر لجاز أن يقال :أمرت بتكرم على معنى:أمرت بأن تكرم، قال :"هذا فاسد " ، ذلك لأّن حروف الجّر لا تتساوى فإّن اللام لها مزّية على غيرها ،لأّنها تدخل على المصادر التي هي من أغراض الفاعلين، وهي شاملة يحسن أن يسأل بها عن كلّ فعل فيقال:"لم فعلت"، لأّن لكلّ فاعل غرضا في فعله، وباللام يخبر عنه، ويسأل عنه و"كي"و"حتّى"في ذلك المعنى ألا ترى أّك تقول :"مدحت الأمير ليعطيني وحتّى يعطيني وكي يعطيني" .فجاز أن تقّدر بعدها" أن" و ليست الياء . كذلك فلا يجوز أن تقّدر ،وأّما قولهم إّنها من عوامل الأسماء إلا أّنها من عوامل الأفعال في بعض أحوالها بدليل أّنها تجزم الأفعال في قولهم:"ليقم زيد" قال: إذا سلّمنا أنها من عوامل الأسماء بطل أن تكون من عوامل الأفعال لأّن العامل كان عاملا لاختصاصهم، فإذا بطل الاختصاص بطل العمل.

3-7- المسألة السابعة"لام الجحود":

ذهب الكوفيون" إلى أّن "لام" الجحود هي الناصبة بنفسها ويجوز إظهار أّن بعدها للتوكيد نحو: ما كان زيد لأن يدخل دارك، وما كان عمرو لأن يأكل طعامك" [1]. ويجوز تقديم مفعول الفعل المنصوب ب "لام" الجحود عليها نحو:" كان زيد دارك ليدخل وما كان عمرو طعامك ليأكل". وذهب البصريون إلى أّن الناصب للفعل أن

مقدّرة بعدها ولا يجوز إظهارها، ولا يجوز تقديم مفعول الفعل المنصوب ب"لام" الجحود عليها.

حجة الكوفيين:

الدليل على أنّ "لام" الجحود هي العاملة بنفسها، وجواز إظهار أن بعدها ما قدّم في مسألة "لام كي"(*) وأمّا الدليل على جواز تقديم المنصوب على الفعل المنصوب ب"لام" الجحود لقول الشاعر:

لقد عذلتني أم عمرو لم أكن مقالتها ما كنت حيا لأسمعها.

وتقدير الكلام" لم أكن لأسمع مقالتها، فقدّم منصوب لأسمع عليه وفيه لام الجحود فدلّ على جوازه".وفيه أيضا دليل على أنّ "لام" الجحود هي العاملة بنفسها من غير تقدير"أن"، إذا لو كانت "أن" هنا مقدّرة لكانت مع الفعل بمنزلة المصدر، وما كان في صلة لا يتقدم عليه.

حجة البصريين:

أمّا البصريون فاحتجّوا بأن قالوا: أنّ الدليل على أنّ الناصب "أن" المقدرة بعدها ما قدّموه في مسألة "لام كي".

رأي ابن الأنباري في المسألة: يقول ابن الأنباري على أنّه لا يجوز إظهار" أن" بعدها فمن وجهين:

- إنّ قولهم ما كان زيد ليدخل، وما كان عمرو ليأكل. جواب فعل ليس تقديره تقدير اسم، ولا لفظه لفظ اسم لأنّه جواب لقول قائل:" زيد سوف يدخل، وعمرو سوف يأكل". فلو قلنا "ما كان زيد لأن يدخل، وما كان عمرو لأن يأكل". بإظهار"أن" لكنّه جعل مقابل" سوف يدخل وسوف يأكل" اسما لأنّ "أن" مع الفعل بمنزلة المصدر وهم اسم لذلك لم يجز إظهارها كما لا يجوز إظهار الفعل في قولك:" إياك وزيدا".

والتقدير عندهم:" ما كان زيد" مقدرا لأن يدخل أو نحو ذلك من التقدير الذي يوجب المستقبل من الفعل، و"أن" توجب الاستقبال فاستغنى بما تضمّن الكلام من تقدير الاستقبال عن ذكر" أن". ومنهم من قال:"إنّما لم يجز إظهار "أن" بعدها لأنها صارت

(1)- ابن يعيش: شرح المفصّل، ج7 ص 19.

(*)- ينظر الصفحة 78 من هذه المذكرة.

بدلا من اللفظ بها، لأنّه لو قلنا" ما كان لزيد أن يدخل" كان نفيا ل"سيدخل". كما لو أظهرت "أن" فقلنا"ما كان زيد لأن يدخل" فلما صارت بدلا منها، كما أنّ ألف الاستفهام بدل من واو القسم في قولهم:" الله لأقومنّ" لم يجز إظهارها إذ لو كانت اللام بدلا منها كأنها مظهرة.

- وردّ على الكوفيين فيما يخص البت الشعري:

.....ولم أكن مقالتها ما كنت حيّا لأسمعها.

لا حجة لهم فيه لأنّ مقالتها منصوب بفعل مقدر كأنّه قال: ولم أكن لأسمع مقالتها لا بقوله لأسمعها كما قال الشاعر:

وإني امرؤ من عصبة خندقية أبت للأعادي أن تذيخ رقابها [1]

إذا فاللام في قوله"للأعادي" لا تكون من صلة "أن تذيخ" بل من صلة فعل مقدر قبله وتقديره "أبت أن تذيخ" وجعل هذا المظهر تفسيرا لذلك المقدّم.

<u>تفصيل: لما سبق من المسائل: كي/ لام كي/ لام الجحود</u>

إنّ النواصب عند البصريين أربعة: أن، لن، إذا، كي، زاد بعضهم "لم".وزاد الكوفيون "حتى" في قولهم:"سرت حتى أدخل المدينة".واللام في نحو:"ما كان زيد ليقوم، والفاء والواو في الأجوبة و"أو" في نحو:"لألزمنّك أو تقضيني حقي". فهذه الحروف هي عند الكوفيين نواصب بأنفسها، وعند البصريين النصب ب"أن" مضمرة بعدها.

أما القول في "أن" إذا كانت ناصبة تكون ظاهرة وهو الأكثر، وتكون مضمرة وهي بالنظر إلى ذلك تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم تضمر فيه ولا تظهر، وقسم أنت فيه بالخيار، وقسم لا يجوز إضمارها، فأما القسم الذي يلزم فيه الإضمار فذلك في ستة مواضع: بعد، حتى، الجارة، وكي الجارة، ولام الجحود، والجواب بالفاء والواو، وأو.

وهذه الحروف الثلاثة الأولى منها حروف للجرّ والثلاثة البواقي حروف عطف، وإنّما لم يجز إظهار "أن" في هذه المواضع لأنّ هذه الحروف جعلوها عوضا من "أن" فلو أظهروها لكانوا قد جمعوا بين العوض والمعوض منه. لذا فإنّ "كي" تكون اسما وحرفا،فإذا كانت اسما كان أصلها "كيف" وحذفت فاؤها ضرورة فصارت "كي"

(1)- المبرّد: المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عظيما، (د-ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د- ت)، ج4، ص199.

وموضعها: إذا وقع الاسم بعدها أو الفعل الماضي أو المضارع المرفوع إذ يقول عمرو بن أحمد الباهلي:

أو راعيان لبعران لنا شرّدت كي لا يحسان من بعراننا أثرا

أي كيف لا يحسان، وقال آخر:

كيف تجنحون إلى سلم وما ثئرت قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم.

أي كيف، وإنّما قلنا ذلك لأنّ الفعل المضارع قد وقع بعدها في البيتين مرفوعا والمعنى على "كيف".

وإذا كانت حرفا وهو المقصود هنا، كانت حرف جرّ وحرف نصب. فإذا كانت حرف نصب فهي مصدرية، وإذا كانت جارّة فهي للتعليل، دخل عليها "لام الجر" نحو: "جئتك لكي تكرمني" ، تعينت الناصبة لأنّ حرف الجرّ لا يدخل على حرف الجرّ، وإن دخلت هي على "لام الجرّ" نحو:"جئتك كي لتكرمني" تعينت الجارّة، واللام بعدها تأكيدا لها. ولا يجوز أن تكون"كي" هنا ناصبة للفعل بينهما وبين الفعل بحرف الجرّ، ولا يجوز الفصل بين الناصب والفعل بحرف ولا بغيره، ولا يمكن أن تكون "كي" هنا زائدة لأنّ "كي" لم تثبت زيادتها في موضوع فتحمل هذه عليه فثبتت الجارّة.

وإذا قلنا: دخول "لام الجرّ" على"كي" كثير، ودخول" كي" على "لام الجرّ" فيه توقف، فهذا غريب عزيز الوجود لم يسمع إلاّ في الشعر فمن ذلك قول "الطّرماح":[1]

كادوا بنصر تميم كي ليلحقهم فيهم قد بلغوا الأمر الذي كادوا.

وقال أيضا "ابن قيس الرّقيات":

ليتني ألقى رقّية في خلوة أو ملقى أو نفس.

كي لتقضيني رقّية ما وعدتني غير مختلس.

فإن عريت "كي" من دخول اللام عليها أو من دخولها على اللام نحو قوله تعالى: ﴿كي تقرّ عينها﴾[طه الآية **40**] احتملت الناصبة واحتملت الجارّة، فإذا كانت حرف جرّ انتصب الفعل بعدها بإضمار "أن"، و"أن" لا يجوز إظهارها إلاّ شاذّا نحو قول الشاعر:

فقالت: أكل الناس أصبحت مانحا لسانك كيما أن تغرّ وتخدعا.

---

(1)- ديوانه ص173.

فهذا الذي ذكرناه هو مذهب البصريين، وذهب الكوفيون أنّها لا تكون حرف جرّ، وإنما تكون ناصبة، وذهب بعضهم أنّها تكون جارّة للاسم ولا تكون ناصبة للفعل، والصحيح مذهب البصريين.

أمّا "لام الجحود"(*) والجحود هو النفي، فاتّفق على أنّها حرف جرّ واختلفوا في نصب المضارع بعدها. فقال الكوفيون: هو منصوب باللام نفسها، وهو مردود لأنّ اللام قد ثبتت من عوامل الأسماء وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال. وقال "ثعلب": منصوب باللام لنيابتها مناب "أن" وهو مردود لما فيه من التكلّف. وقال البصريون: منصوب بإضمار "أن" بعد اللام ولا يجوز إظهارها. وقد نقل "ابن الأنباري" الإجماع من الكوفيين والبصريين على عدم الإظهار بعد "لام الجحود"، فأجاز الكوفيون إظهارها بعد "لام الجحود"، فيجوز أن نقول:" ما كان زيد لأن يقوم"، فيه خرق للإجماع. وقد حصل اختلاف في محلّ هذه اللام: ذهب بعضهم أنّها الواقعة بعد الكون المنفّي سواء أن كان ذلك بلفظ الماضي نحو قوله تعالى:﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ **[الأنفال الآية 33]** أو بلفظ المضارع نحو:" لم يكن زيد ليقوم" وهو مذهب "ابن مالك". وذهب بعضهم أنّها تقع بعد أخوات "كان" قياسا عليها فنقول:" ما أصبح زيدا ليقوم". وذهب بعضهم أنّها تقع بعد ظننت فنقول:" ما ظننت زيدا ليضرب عمرا". وذهب آخرون أنّها تقع بعد كلّ فعل منفّي، فأجاز أن نقول:" ما جاء زيد ليقوم". وأصحّ هذه الأقوال الأوّل، ويليه الثاني لأنّه قد سمع وباقي الأقوال أقيسة لم تسمع.

وفي الأخير مهما يكن من أمر فإنّ فن المناظرة اللغوية يبقى علما له شروطه وآدابه بموجبها ارتقى إلى مصاف العلمية، إذ يبقى القرن الثاني للهجرة شاهدا على تلك المناظرات الحارّة بين البصريين والكوفيين والتي كان سببها التباين في المنهج المتبع، سواء تعلق الأمر بجمع المادة أو بعامل الزمان والمكان مثل القبائل التي تعد أجدر بالفصاحة. وبما أنّ صرح النحو العربي قامت ببنائه البصرة والكوفة إلاّ وأبت أن تشاركها في هذا العمل، فرسمت لنفسها منهجا تسير عليه كالاتساع في الرواية والأخذ عن كل الفئات مثل الشيخ والطفل والمرأة وهذا ما لم تقّر به البصرة، فكان الخلاف بينهما مادة دسمة للكتب النحوية إذ رصدته بمختلف مظاهره ككتاب"اختلاف النحويين

(*)- الجحود: مصطلح كوفي يقابل النفي عند البصريين.

لثعلب"،"مسائل خلافية في النحو للعبكري" لكن يبقى كتاب"الإنصاف في مسائل الخلاف" أشملها على الإطلاق لأنّ صاحبه بكل بساطة حاول أن يقف كالقاضي بينهما وهذا ما ورد جليلا في مقدمة كتابه وبعد قراءتنا له تبين أنّ مدرسة البصرة ومنهجها وحججها في عرض المسألة أكثر إقناعا وأقرب إلى الصواب أكثر من الكوفة.

خـــاتـــمـــة :

خاتمة:

بعد هذه الرحلة التي طال سفرها وامتد طريقها، نستعرض النتائج التي توصلنا إليها:

- ❖ إنّ البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلا، وإنّ طريقتهم أكثر تنظيما وأكثر سلطانا من الكوفيين وأقل حرية وأشد احتراما مما ورد عن العرب.
- ❖ البصرة منشأ النحو العربي إذ كانت المنبع الأساسي الذي استقى منه علماء الكوفة الأوائل آراءهم وتوجهاتهم النحوية فعلى أيدي شيوخ المدرسة البصرية تتلمذ العديد من علماء الكوفة.
- ❖ رغم تتلمذ الكوفيين على أيدي البصريين إلا أنهم لم يرضوا أن يكونوا مجرد تابعين يقتفون أثر البصريين في كلّ ما ذهبوا إليه في مجال الدراسات النحوية بل أرادوا أن يضيفوا لمستهم وبصمتهم الخاصة وعلى هذا الأساس ظهرت نقاط كثيرة اختلف فيها البصريون والكوفيون.
- ❖ كان الخلاف هادئا بين المدرستين في أول الأمر بين شيوخهما الأوائل، لكن الأمر لم يبق على حاله إذ سرعان ما اشتدّ خاصة بظهور الكسائي وتلامذته الذين جاءوا من بعده ,فكانت المسألة الزنبورية خير شاهد على هذا الخلاف.
- ❖ أتاح لنا البحث أن نحدد الدرس النحوي في هذه الفترة المحددة من خلال مذهبين متقابلين، وبعد أن كانت الدراسات السابقة تتناولهما على نحو مستقل.
- ❖ كانت المناظرة الوسيلة المفضلة في ذلك العصر للفريقين، وذلك للتعريف بمذهبيهما أو الدفاع عنه أو لكسب أنصار.

إذا أسباب كثيرة أدت إلى الجدال بين المذهب البصري والكوفي:

- ✓ الاختلاف في القراءات القرآنية، فيأخذ نحويّ بقراءة ويأخذ غيره بأخرى.
- ✓ اختلاف وجه الإعراب مع اتفاق في الرواية.
- ✓ الجهل بالدليل فبعض النحويين بلغه شاهد فيحكم به، وبعضهم لا يبلغه فيقضي بخلافه.
- ✓ إن الكوفيين يقومون على الشاذ، بينما البصريين يتسعون في التأويلات.
- ✓ عدم الالتفات إلى اختلاف اللهجات أدى بهم في كثير من الأحيان إلى هذا الجدل والتكلّف في الإعراب إذ يقومون بإخضاع هذه الشواهد للقواعد العامة التي وضعوها.

- ❖ إنّ المناظرات النحوية أعطت مردودا للدرس النحوي وأهمية في بغداد خاصة في عصر امتزاج الثقافات.
- ❖ إظهار بعض المناظرات التزامها بالأسلوب العلمي.
- ❖ كثرة المؤلفات التي رصدت الخلاف النحوي بين مدرسة البصرة والكوفة.
- ❖ يعتبر ابن الأنباري من أكثر النحاة عناية بموضوع الخلاف النحوي ويتجلى ذلك من خلال كتابه" الإنصاف في مسائل الخلاف".

- ❖ انتصار ابن الأنباري في كتابه" الإنصاف" للمذهب البصري فلم يؤيد المذهب الكوفي إلاّ في سبعة مسائل فقط لأنه نحوي على المذهب البصري.
- ❖ رغم الهفوات التي وقع فيها ابن الأنباري في كتابه"الإنصاف" إلاّ أنّها لا تقلل من قيمته النحوية، ولا من أثره في تاريخ النحو العربي.
- ❖ لا نستطيع إعلان الحكم النهائي لفريق على آخر، ذلك أن كلّ فريق يجيب انطلاقا من منهجه في الدراسة النحوية وإذا حاولنا الرجوع إلى مؤلفاتهم لنحكم فإننا نجد ذلك عند البصريين، بينما نفتقد ذلك عند الكوفيين.
- ❖ تبقى المناظرات النحوي بين البصريين والكوفيين بايجابياتها وسلبياتها تراثا نحويا اجتهدنا على جمعه وعرضه ونقده، نؤيد ما جاد منها، ونقدنا ما قصر منها، ومهما يكن فإن النحاة الأوائل يستحقون كلّ التقدير لأنهم تناولوا كلّ صغيرة وكبيرة وقيّدوها، وما كان علينا إلا إعادة التنظيم والتحقيق وفق المناهج الحديثة.

وفي الأخير لسنا نزعم أننا استطعنا ببحثنا هذا أن نقدم الصورة الوافية والنهائية عن جهود البصريين والكوفيين، وعن عطاء صاحبنا في النحو خاصة في كتاب" الإنصاف" أو أننا لم نترك فيه بعدنا مقالا لقائل، فباب البحث في ابن الأنباري وفي مناظرات البصرة والكوفة ما يزال مفتوحا على مصراعيه لكلّ من يأنس في نفسه الكفاية للخوض في هذا الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1-المصادر والمراجع:

1- إبراهيم عبود السامرائي:المدارس النحوية أسطورة وواقع،ط1،دار الفكر ،الإسكندرية،1987.

2- إبراهيم عبود السامرائي:المفيد في المدارس النحوية،ط1،دار ميسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

3- ابن خاليكان:وفيات الأعيان،تح:إحسان عباس،(د- ط)،دار صادر ،بيروت،(د- ت)، ج1.

4- ابن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل،(د- ط)، الطباعة المنيرية،مصر ،(د- ت)،ج8.

5- أبو البركات ابن الأنباري: الأغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة ،تح: سعيد الأفغاني،(د-ط)،مطبعة الجامعة السورية،1957.

6- أبو البركات ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: جودت مبروك محمد مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،2002.

7- أبو الفتح ابن جني: الخصائص،تح: محمد علي النجار ،(د-ط)، المكتبة العلمية،(د- ت)، ج2.

8- أبو فرج الأصفهاني:الأغاني، تح: إحسان عباس،ط2،دار صادر ، بيروت،2004،ج4.

9- أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالّوراق بن النديم، الفهرست، تح:علي زين الدين العابدي الحائري المازنارتي، ط3، دار ميسرة، 1980.

10- أبو العباس محمد المعروف بالمبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، (د- ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،(د- ت)، ج4.

11-أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك: ألفية بن مالك في النحو والصرف، ط1،شارع جوهر للدراسة، القاهرة، 2007.

12- أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري:أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،(د- ط)،المكتبة العصرية، بيروت،(د- ت)، ج4.
13- أحمد أمين: المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع،(د- ط)،دار النمر للطباعة، القاهرة، 1984.
14- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط1، الكتاب العربي،بيروت، (د- ت)،ج2.
15- أحمد بن حنبل أبو زهرة: مقدمة في تاريخ الجدل،(د- ط)، دار الفكر العربي،بيروت،(د- ت).
16- تمام حسان: الأصول،(د- ط)، عالم الكتب، القاهرة،2000.
17- جلال الدين السيوطي: الإقتراح في أصول النحو،(د- ط)، دار المعرفة الجامعية، 2006.
18- حسن خميس الملخ:نظرية الأصل والفرع في النحو العربي،ط1،دار الشروق الأردن،2001.
19- حسين الصّديق:المناظرة في الأدب العربي والإسلامي:ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة،2000.
20- خديجة الحديثي: الشاهد وأصول النحو في كتاب سبويه،(د- ط)،مطبوعات جامعة الكويت،1974.
21- خديجة الحديثي: المدارس النحوية،(د- ط)،دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن،2001.
22- راجي الأسمر: المعجم المفضّل في علم الصرف،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
23- رشيد الراضي:الحجاج والمغالطة(من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار)ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا،2010.
24- سعيد الأفغاني:في أصول النحو،(د- ط)، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،1994.
25- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي،ط7، دار المعارف،مصر،(د- ت).

26- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،ط9،دار المعارف، (د- ت).
27- صالح بلعيد: في أصول النحو،(د- ط)، دارهومة، الجزائر،2005.
28- صالح رّواي: النحو(نشأته، تطوره، مدارسه ورجاله)،(د- ط)،دار غريب للنشر،القاهرة،2003.
29- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،ط2، المركز الثقافي العربي،بيروت،2000.
30-عبد الحسين محمد/رشيد عبد الرحمان العبيدي/ طارق بن عون الجنابي: تأريخ العربية،(د- ط)، دار الكتب للنشر، بغداد.
31-عبد الحميد الشلقاني: رواية اللغة،(د- ط)،دار المعارف، مصر،1979.
32- عبد الكريم محمد الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي،ط1، دار الشواق،الرياض،1992.
33- عبد الله بن حمد الخثران: مراحل تطور الدرس النحوي،(د- ط)، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1993.
34- عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية،ط1،دار النهضة، بيروت،1980.
35- عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي،(د- ط)،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1992.
36- عزيز نضمي سالم: تاريخ المنطق عند العرب،(د- ط)،مؤسسة شباب الجامعة، 1983
37- عصام الدين أبي الخّير أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زاده: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، تح: حايف النبهان، ط1، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، الكويت.
38- فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري،(د- ط)، مطبعة الإرشاد،بغداد،1971.
39- القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي:أخبار النحويين، تح:طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي،ط1، ملتزم للطبع والنشر، مصر، 1955.

40- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،تر: عبد الحليم النجار،(د- ط)،جامعة الدول العربية، دار المعارف،القاهرة،1977،ج5
42- محمد أحمد برانق: النحو المنهجي،(د- ط)، لجنة البيان العربي، بدون بلد النشر،(د،ت).
43- محمد أحمد مرجان: مفتاح الإعراب، ط1،مكتبة الآداب، القاهرة، 2000.
44- محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها،ط3،دار الشرق العربي، بيروت،(د- ت)،ج1.
45- محمد الشاطر أحمد محمد: الموجز في تاريخ النحو العربي(د- ط)مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،1983.
46- محمد عبيد الحمزاوي:فن الحوار والمناظرة في الأدبين الفارسي والعربي في العصر الحديث، ط1،مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة،2001.
47- محمد عزام:النص الغائب(تجليات التناص في الشعر العربي)،(د- ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001.
48- محمد عيد:أصول النحو العربي،(د- ط)، عالم الكتاب،القاهرة،1989.
49- محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك(د- ط)، دار الطلائع، القاهرة،ج1،2004.
50- مهدي المخزومي:مدرسة الكوفة،منهجها في دراسة النحو واللغة،ط2، ملتزم للطباعة والنشر،مصر،1958.
51- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي،(د- ط)،دار غريب، القاهرة،2004.

2-الرسائل الجامعية:

1- جميل إبراهيم علوش: ابن الأنباري وجهوده في النحو، رسالة دكتوراه ، جامعة القديس يونس، بيروت،1977.
2- حسن محمد عبد الرحمان أحمد: شرح ألفية ابن معط،لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني،رسالة دكتوراه، المملكة العربية السعودية، 1994.
3- عبد العزيز علي مطلك الدّيمي: الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد،1992.

3-المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين الإفريقي المصري ابن منظور: لسان العرب ،ط4،دار صادر، بيروتً،2005.

2- مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط: مادة "جدل".

4-المجلات:

1- عبد الحسين المبارك: المناظرات اللغوية بين الجدية والإفتعال، مجلة كلية الآداب مطبعة النعمان، بغداد العدد الثاني 1974.

فـهـرس الـمـوضـوعـات

مقدمة.....أ

الفصل الأول:مدرستا البصرة والكوفة

1- مدرسة البصرة النحوية وأشهر علمائها.....02

1-1- تعريفها.....02

1-2- أسباب إشتغال البصرة بالنحو قبل الكوفة.....03

1-3- مصادر الدراسة عند البصريين.....05

1-3-1 المصادر.....05

1-3-2 أشهر علمائها.....07

2- مدرسة الكوفة النحوية وأشهر علمائها.....08

2-1 تعريفها.....08

2-2- مصادر الدراسة عند الكوفيين.....10

2-3- أشهر علمائها.....12

3- الخلاف النحوي بين المدرستين وأشهر المسائل المختلف فيها.....13

3-1- تعريفه.....13

3-2- أسباب الخلاف بين المدرستين.....14

3-3- مظاهر الخلاف بين المدرستين وأشهر المؤلفات.....25

الفصل الثاني: المناظرة اللغوية المفهوم، النشأة والآثار

1- نشأة المناظرة، تعريفها وأنواعها.....29

1-1 نشأة فن المناظرة.....29

1-2- تعريفها.....32

1-3- أنواعها.....35

2- آداب المناظرة مكانها وطبيعة الموضوع المطروح فيها.....38

1-2 آداب المناظرة.....38

2-2- مكان المناظرة وطبيعة الموضوع المطروح فيها.....39

3- آثار المناظرة وأهدافها.....40

1-3- آثار المناظرة.....40

2-3- هدف المناظرة.....43

الفصل الثالث: المناظرة النحوية بين النحاة البصريين والكوفيين من خلال كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف

1- التعريف ب"ابن الأنباري".....45

2- التعريف بكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف.....49

3- بعض المسائل المختلف فيها بين البصرة والكوفة.....56

1-3- الأصل في اشتقاق الاسم.....57

2-3- إعراب الأسماء الستة.....62

3-3- الاسم المقصور.....67

4-3- سين الاستقبال محذوفة من سوف.....72

5-3- كي..... .75

6-3- لام كي 78

7-3- لام الجحود..... .80

خاتمة..... 87

قائمة المصادر والمراجع.....90.

فهرس الموضوعات.....96